مريد البرغوثي

قصائد مختارة

منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية
بالتعاون مع دار الفاروق بنابلس



منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET

قصائد مختارة

مُريد البرغوثي

منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية
بالتعاون مع دار الفاروق بنابلس

قصائد مختارة

من دواوين الشاعر

مريد البرغوثي

١٩٩٦

طبعة خاصة أصدرتها
وزارة الثقافة الفلسطينية
بالتعاون مع
دار الفاروق للثقافة والفكر والعلوم والآداب
نابلس / شارع جمال عبدالناصر
تلفاكس ٠٩/٣٧٧٩٦٩ ص . ب ١١٢٧

مشهد يومي

ناعم هذا النهار الشتوي
بين أصداء على البعدِ
وإصغاء الرذاذ
حجرة واحدة ، شباكها المكسور شفافٌ
فلا حاجز بين الغيم في العالي
وأطراف الحصيرة
ويد الطفل ، بغمازاتها الخمسِ
تحط الآن في لين
على الثدى المغطى بالزغب
طالبا رضعته ما بين جوع ونعاس
وبعين الأم فخر احتفاليٌ
وآثار التعب
و وراء النافذة
استمرَّ المشهد اليوميُّ :

أولادٌ يعدون المقاليع
وأصوات هتافات ورايات
وعسكر
يطلقون النار في زهوٍ وفوضى
وصبي آخر يهوِى شهيدًا
فوق أسفلت الطريق .

١٩٨٨/٣/١٥

الشرفة

شُرفَةٌ واسعة قرْبَ المحيطْ
وضبابُ الصبح يأتيها بلونٍ
ورذاذ الليل يأتيها بلونٍ
وصِدَام الصخر والأمواج لا يتركها للنومِ أو للارتياحْ
شرفةٌ آنسَها الموجُ ، وما زالت تخاف الموجَ
هذا هُوَ قَلْبي .

* * *

شرفةٌ واسعةٌ قربَ الجبالْ
يَشرب العالَم فيها قهوةَ الصبحِ
وتستأذنُ منها الومضةُ الأولى لقرص الشمسِ
أنْ تعبر أسوارَ المدينة ،
فمَن استعدى عليها الضّوء حتى فاجأَتْها
طلعةُ الصبح بغيمٍ
وبقرصٍ داكنٍ يطلع من خلْف الجبال ؟

* * *

شُرفةٌ لامرأةٍ

شُرفَةٌ للأصدقاء

شُرفة يَسقط فيها كُلُّ غصنٍ كسرتهُ العاصِفة ،

ورفوف الطير تبحث فيها عن حبوب

هل هي الغابةُ ؟ من يركضُ فيها ؟

مَنْ على أطرافها الكثَّة ليلاً يستغيثْ ؟

ها هم الأطفال فيها قد تمادوا في النزاع

يطرحون الأسئلة

ويموتون ويحيون وأيضًا ، يطرحون الأسئلة

هل هو الهمس الذي خافَ

فأضحى صاخبا ؟

أم هو الصوت الذي خافَ

فأضحى هامِسا ؟

ومن القادم نحوي

هادئَ الوجهِ وممدودَ اليديْن ؟

هل أرى طيفَ صديقي

أم أرى طيف عَدُوِّي ،

أم هي المرِآة وانشقّتْ بكفِّي قطعتينْ ؟

* * *

شُرفةٌ تبحثُ عن منزِلها المهدومِ

هذا هو قلبي .

١٩٧٨/٣/٢٧

رضوى

عَلَى نوّلها ، في مساءِ البلادْ
تُحاوِلُ رَضْوى نسيجًا .
وفي بالِها كلُّ لَونٍ بهيجٍ
وفي بالِها أُمَّةٌ طال فيها الحِدادْ
على نَوّلِها ، في مساءِ البلادْ
وفي بالها أزرقٌ لَهَبيٌّ الحَوافَ
وما يمزجُ البرتقالَ الغُروبيَّ
بالتركوازِ الكَريمِ
وفي بالها وردةٌ تستطيعُ الكَلاَمَ
عنِ الأرجوان الجريحِ
وفي بالِها أبيضٌ ، أبيضٌ ، كَحَنَانِ الضّمادْ .
على نَوّلِها ، في مَساءِ البلادْ
وفي بالِها اللّوتسيُّ المبلَّل بالماءِ
والأخضرُ الزّعتَريُّ

وَصُوفُ الضُّحى يتخلَّلُ قُضْبانَ نافذةٍ
في جذارٍ سميكٍ فيدفىءُ تحتَ الضلوعِ الفُؤادْ .
على نَولِها ، في مساءِ البلادْ
وفي بالِها السُّنبليُّ المُعَصفَرُ
والزَّعفرانُ الذي قد يُجيبُكَ لو أنتَ ناديتَهُ
والنخيليُّ وهو يلاعِبُ غيمًا يحاذيهِ
في كفِّها النَّولُ مُتعبَةً
تمزجُ الخيطَ بالخيطِ واللّونَ باللّونِ
تَرْضَى وتَستاءُ ، لكنّها
في مَساءِ البِلادْ
تُريدُ نسيجًا لهذا العراءِ الفسيحِ
وترسم سيفًا بكفِّ المسيحِ
وجُلْجُلَةً مِنْ عِنادْ .

١٩٨٧/٣/٢٦

غبطــة

سِراعًا ،
تُغلِّلهُمْ ضجَّةُ الرّكْضِ
لا يِنظرونَ إلى الخلْفِ
عاصفةٌ من غُبارٍ تُلاهِثُهُمْ
والزمانُ مهاميزُ تدفَعُهمِ للأمامْ
فلا وقتَ فيه لدفنِ الذي مات ركضًا
ولا وَقتَ للشاشِ حولَ الجراحِ
ولا وقتَ للاختبارِ الدقيقِ لجسم الرياحِ
وروحِ الطريقِ ، ولا أذنَ تسمعُ نُصحَـًا
يهزّ وثوقَ الوُثوقِ
ولا عينَ تُبصِرُ إلا أَمام الأمامْ .
ولا ضيرَ في كُلِّ ذلكَ ...
لكنَّ ما يركضون إليهِ جميعًا ،
تَكَوَّمَ ، مُنْسَجِمًا ،
خَلْفَهُمْ !

١٩٨٧/٣/١٤

مــوج

تَعودينَ من عَمَلِ اليومِ
مُجهدةَ الجسمِ والرُّوحِ مِثْلي
ونغتابُ عالَمَنا في هدوءِ الغذاءْ .
وتمضي الشواغلُ ، درسُ الصغيرِ
انقطاعُ المياهِ ، اختفاءُ الكتابِ الذي
نتبادَلُ فيه القراءةَ
تدبيرُ أمرِ العشاءْ .
مشاكِلُ جارٍ سخيفٍ
وتهنئةٌ للصديقِ المُشاغِبِ
بعد ثُبوتِ براءَاتِهِ في القضاءْ .
ونسرقُ تِسعةَ أعشارِ قُبلتنا بينَ
غَسْلِ الأواني ، وإعدادِ شايٍ لضيفِ المساءْ .
وفي آخرِ الليلِ

يرتطمُ الجسمُ بالتَّعَبِ المستطيلِ
تقولين لي
" طابَ ليلُكَ يا صاحبي "
وأتمتِمُ مرتبكًا
" تصبحين على ألفِ خيرٍ "
ونطفئُ مصباحَنا ، في امتثالٍ لأَمرِ النُّعاسِ الذي نشتهي
ثُمَّ
يرفعنا الموجُ من يومِنا كُلِّهِ
فيبعثر عنّا ملابسَنا في جميعِ الزوايا
ويرمي بأجسادِنا في هياجِ العِناقْ .

١٩٨٧/٣/١٥

مدرج

هو مَدْرَجٌ للطّائراتِ
يظلُّ يحشدُها بِعَزْمٍ صاعدٍ ، مُتصاعدٍ ،
حتى تَطيرْ .
حرٌّ مضاءٌ بالنّدى والنُّورِ صُبحاً أو مساءً
ليس يُثْقِلُهُ الثّقيلُ ،
ولا تخافُ فضاءَه فِرقُ العَصافيرِ الصغيرةِ .
مُلْتَقى كلِّ الجِهاتِ ومُلْتقى البَهجاتِ ، راحلةً وعائدةً ،
رقيقٌ في مُلامسةِ التعلُّقِ بالحياةِ ،
كأنّما صاغوهُ مِنْ زَغَبِ الكتاكيتِ الوليدةِ
والحريرْ .
لكنّما ...
بالأمسِ ،
حطَّمَتِ الرياحُ عليهِ طائرةً
وغَطَّتْهُ الحرائقُ والرُّكامُ
وحَوّلَتْ عنهُ المباهجُ كلُّها
مُذْ ذاكَ ، أصبحَ مثلَ
رُوحي .

١٩٨٧/٣/١٣

أبو منيف

أَدركتْهُ

وكأنَّهُ ، مُذْ كانَ ، لم يُفْجع بمخلوقٍ سواكْ !

الموتُ فينا منذ آدمَ يا أبي

عَمَمٌ وعاديٌّ تماماً

كيف باغَتَني ، إذَنْ ، حتّى العِظامْ ؟

* * *

يا للسذاجة

هل وَهِمْتُ ، كأيِّ طفلٍ ، أنَّ سحراً ما

سيستثنيكَ ممّا ليس يُستثنى

وأنّ الكونَ مبنيٌّ بحيثُ تكونُ فيهِ على الدَّوامْ ؟

خَلَّفتُ خلفي نصفَ ما في العمرِ من عمرٍ

ونصفَ النَّفي ، نصفَ الليلِ

حين تَلَعثَم النّاعي

وأجرحُ ما يكونُ النعيُ لعثمةً

وأفصحُ كلما انكسر الكلامْ !

* * *

صوتٌ يرقُّ على مياه مخاوفي كذوائبِ الصفصافِ
محنيٌّ بوطأةِ ما يحاول أنْ يُخبِّىءَ أو يذيعَ
كأنّما الناعي يحاول مستحيلاً
مثل تحميل الحديد على غَمامْ .

* * *

ولَكَمْ خُذِلْتُ وقد تيقَّنَ أَنَّهُ حتَّى
حنانِكَ
لم يَرُدَّ الموتَ عنكَ
وأنَّ حُبَّ الناسِ حولَكَ
لا يقي حتّى مِن الموتِ البسيطِ
كأنَّ فيَّ جهالةَ الطفلِ الذي
عَجَنَتْ أصابعُهُ قوانيناً من الصلْصالِ
حَسْبَ هَواهُ :
يَدْخلُ في البِدايةِ ثم لا يرضى بأسبابِ الخِتامْ !

* * *

وتموتُ في المنفى
ومِنْ منفى سواهُ
يطيرُ وَحشُ النّعيِ

مِن منفى إلى مَنْفى وتبتعدُ البِلادُ
بخبزِها وجِرارِها ومنمنماتِ العشبِ في
أسوارِها ،
بهشاشةِ القَمر الذي يسري بأخضَرِهِ
على صبَّارِها
ونَدىً على تينٍ على غصنٍ على شجرٍ
تلاعبهُ العصافيرُ المُصابةُ بالغَباءِ فلا
تكفُّ عن الرَّحيلِ ولا تُحِسُّ بضَيْعةِ الأوطانِ مثلَ الناسِ
تبتعد الطوابينُ القديمةُ
والمسامرةُ الحميمةُ في المضافاتِ
التي اعتادَتْ على شَتْمِ المُلوكِ على الحَصيرةِ
والتلفُّتِ من قبيلِ الاحتراسِ
وخشيةِ الواشينَ
تبتعدُ الدموعُ الغامضاتُ على لِحَى الآباء
وَسْطَ مباهجِ الأَعراسِ
تَبتعدُ الأهِلَّةُ والقِبابُ الدَّاكِناتُ
وقوَّةُ الآلامِ في الأنفاسِ
تبتعدُ القُرى بطرازِها القوطيِّ
والساحاتِ والأقواسِ

تبتعدُ الحكاياتُ التي كَذَبَتْ على نَعَسِ الصّغارِ وقد
تمادوا في النعاسِ
وفي اشتهاءِ الأكلِ والطاباتِ
تبتعدُ القُرى بالناسِ إذْ يتحايلونَ على المآسي
بالتلاقي في المآسي ،
يجعلون الحزن أرشق من مشاتِلِ حقل كمَّثرى
تَفَضَّضَ في الظلامْ .

* * *

وتموتُ في المنفى
كأنَّ الأرضَ لم تَطلُبْ بنيها
أو كأنَّا لم نُطالِبْ مثلّما شاءَتْ
ولم نُعطِ الذي قَصَدَتْ
فهل تَعِبَ المُطالِبُ يا أبي
أمْ صارَ هذا الحقُّ قطرةَ زئبقٍ
فتشاجَرَتْ كلُّ الأصابعِ فيهِ
وابتعدَ المُتاحُ عن المرامْ ؟

* * *

صيحاتُ غربتنا تُوزّعُ جمرَها
وتعود أبردَ من صقيعِ اللّيلِ

حين يشفُّ شاهدةَ الرُّخامْ

* * *

والليل حولي لا يمرُّ

وليس حولي مَن يُواجِعُني ويَكْذِبُ (صادقاً)

من أجل روحي

أو يلومُ هشاشتي حتى ألومَهْ !

أما المسافةُ بين أحبابي وبيني

فهي أقبحُ مِنْ حُكومة !

وعليَّ تفسيرُ العلاقةِ

بين أعلامِ البلادِ وبين خوفي

وعليَّ تفسيرُ انتصارِ "القصرِ"

حين يحولُ بين دموعِ أمي الذاهلاتِ

وبين كِتْفي !

بين قهرِ بعضُ وطأتهِ كظلفِ الكَركدنُ

على رفيفِ القلب في قلبي

وبين نُباحِ كلِّ نجومِ نصف الليلِ خلفي !

بين داءِ البرلمانِ وبين شكل الاقتصادِ

وبين أنْ لا يلتقي نِصفي بنصفي !

كَم سأهزِمُ من ملوكٍ يا أبي

حتّى تمرَّ على جبينكَ لمسةٌ من طَرْفِ كفٍّ !

* * *

فاذهبْ وحيداً يا أبي

اذهبْ إلى منفاكَ مِن منفاكْ

اذهب إلى قبرٍ غريبٍ عن قبورِ بلادِنا

واصعدْ مقدِّمةَ الجنازةِ مُفرداً

ولتنتظرْ أمّي تعازي الابن والغرباءِ

مع ساعي البريدْ !

واعلَمْ بِأنّا لن نُمكَّنَ مِن وداعِكَ يا أبي

فَلِمِثْلِ هذا اليومِ لا لسواهُ

ترتفعُ الكفاءَةُ في مخافرنا

وتسهرُ كلُّ عينٍ في الحُدودْ

ولمثلِ هذا اليومِ ، لا لسواهُ

يشتدُّ التنافسُ في وزاراتِ الدفاعِ

على احتلالِ مُتَمَتَماتِ الروحِ في روحي

وينتصرونَ ، في زهوٍ ، على قبر الفقيدْ ..

* * *

لا حقّ لي في الحُزنِ

لكنّي مُحِقّ في الغَضَبْ

لا ، ليس حزناً ما يُرَجْرِجُ زَيزَفونَ الروحِ بل غضبٌ أراهُ مُشَخَّصاً وله قَوامْ .

* * *

فاذهبْ وحيداً يا أبي

واتركْ لنا هذي العجائبَ والخلائِطَ

لا تَقُلْ شيئاً

فإنَّ الموتَ في المنفى اتّهامْ .

بودابست – ديسمبر / ١٩٨٦

قيـد

لمثل هذه الحياةِ كان ينبغي
أن يولد الإنسانْ
وكفه بحجم تلَّةٍ
أكتافُه بحجمِ تلَّتينْ
لسانه بحجم ساحةٍ
عيناه ألف عينْ
خطوته بألف ميلْ
لكننا كما ترون - هكذا -
والموت وحده سيُسقِط القيود ،
أو يوقظ السؤال .

١٩٧٨/٤/٥

النافذة

يمدُّ يداً ، ويزيحُ الستارةَ :
بعضُ الندى عالقٌ بالزجاجِ
وشرخٌ يميل كقوسِ المحاربِ
تخطفُ عينيه حنونةٌ في ابتداءِ التفتُّحِ
بيضاءَ صفراءَ وسط اخضرارِ الحشيشِ
الذى موّجتَهْ الفَراشات بالرقصة الفاتنة
وبعض العصافير تصطف فوق السياجِ
كمستقبِلين استعدّوا لمقدمِ ضيفٍ
- تباغته بالفرار المفاجئ
برقٌ من الطير يتبعُها -
ثم تهتز كافورةٌ بالنشيدْ
وكان رذاذُ الصباح يبوح بألوانه الغامضاتِ
وما كان أخفاه شيئاً فشيئاً تجلَى
تلوح خطى الباكرين إلى الرزق مثقلةً بالتعوُّدِ
لكنها مسرعة

ويسمع شيخاً يداعب طفلا
وآياً من الذكر يُتْلَى بمذياع مقهى بعيدْ ،
تغني العصافير أعلَى
ويختلط الظل بالضوء بين الغصونِ
وترتعش اللحظة الساكنة
هو الكون يُعلِن فتنتَه الكامنة
أراد النزولَ فعطَّلَهُ جُرحهُ من جديد
أزاح الضِماد قليلاً ، فأوجعهُ ، ثم أرجعهُ ،
ثم عاد يطل من النافذة :
رأى داخل القفص المعدنيِّ على شُرفة الجارِ
أنَّ الكَنار يحاول شيئاً
وعند انحناء الطريقِ
رأى بضعةً من رجالٍ يجرون شخصاً
- وقد قيدوه -
(وكان يحاول أن يتقي ضربهم بالصراخ)
وأبصرهمْ حين ألقوه في الشاحنة
يمدُّ يداً ، ويشدُّ الستارةَ ،
يومٌ .. جديدْ ..

٢٤/ ٤/ ١٩٧٩

السياج

بعيدًا عن الوطنِ الممكنِ المستحيلْ
قريبًا من الساعة المفزِعة
فَتىً ساهِمٌ :
" يا بلاد الحنان قسوتِ عليَّ "
وحَمَّلْتِني اللهجةَ الموجِعة
وحَمَّلْتِ ريحي معادنَ نذرٍ ثقيلِ
ولم تبصريني نسيمًا تموج مناديلهُ
أذوبُ بغصنٍ يرفُّ ،
أموتُ على جيدكِ المتعالي
وحين تمرُّ البناتُ أذوبُ هَوى .
ويُثقلني جبَلٌ أرتقيهِ إليكِ
وتثقلني قطرةٌ مِنْ نَدَى .
وأَقتُلُ ، لكنني ، يا بلادَ الصعوبةِ ،
تفتنني نبتةٌ ،
وتمتد حول عيوني البساتينُ خضرًا

ويلتفُّ حول يديَّ السياجُ

العصيُّ الذي لا يميلْ

أنا الكاسِرُ المستفِزُّ الذي يرهبونْ ،

وتأبى المدينةُ أن تسمَعَهْ

وما علموا أنّني أطْلِقُ النارَ كي لا يهبَّ عليَّ البكاء!

... ...

بعيدًا عن الغرفةِ الدافئة

قريبًا من الانفجار الوشيك

وفي داخلِ اللحظةِ المفزعة

فتىً

مالَ للأرضِ ، مُخْتَرقاً بالرصاص

ومال السياجُ مَعَهْ .

١٩٧٨/٤/٣٠

الساحة

ساحةٌ في أولِ الصبحِ
مظلاتُ المحطاتِ ، وبعض الواقفينْ
رقمٌ للباصِ ، تخطيطٌ لأقدامِ المشاه ؛
صحف اليوم ، وأولادٌ حُفاه
ألِفوا بعضَ العناوينِ
ويَعْدُون إلى كلِّ اتجاه ؛
والحوانيت الكبيرَة
لم تزل أقفالها تغفو بإهمالٍ
كجرذانٍ قتيله .
قام شحاذون من نومٍ قصيرٍ في الزوايا
ثم ضاعوا في هدير الحافلاتْ
ينحني الطاعِنُ في السنِّ على بعض لفافه
ويسيرْ ..
يركض الشاب الذي ألصق منشوراً
على الحائط ،

والصمغ يغطّي راحتَيْه
تكبر الشمس على الشرقِ
ويزداد وضوح اللافتاتْ :
مكتبٌ للإستشاراتِ ، محامٍ ، وطبيبٌ ،
قارئ الكفّ ، ومقهى ، بنك روما
بنك شيكاغو ، وسيطٌ للعقّاراتِ
وملهى العلانلاتْ ،
وعلى طول جدار "السينما"
يقف "الكاوبوي"
والكفّانِ فوق الخاصرة
وعلى مدخل دربٍ جانبيّ
يقف الخادمُ في الصفٍّ أمام الخضرواتْ
ثم .. يشتد الزحام
وتمر الشيفروليه
ويمر الجنرال
....
انه مطلع يوم عربي .

١٩٧٨/٣/٣١

القبائل

قبائلنا تسترد مفاتنها :

خيامٌ خيامْ

خيامٌ من الحَجَرِ المستريح ، وأوتادها مرمرٌ أو رخامْ .

نقوشٌ على السقف ، والورق المخمليُّ يغطّي الحوائطَ ،

والصور العائليةُ و "الجيوكاندا"

تحاذي حجاباً لرد الحسودِ ،

بقرب شهادةِ ابنٍ تخرَّج في الجامعة –

إطاراتها ذَهَبٌ يعتليه الغبارْ .

خيامٌ ، ونافذةٌ من زجاجٍ

هي الفخُّ ترتعدُ الفَتَيات المطلاّت منهُ

إذا ما الصغير وشى للكبارْ .

بخارٌ من الشاي يصعد ، صودا وويسكي ،

و "ولا أستسيغ النبيذ" و "معذرة " ،

هل نجحتَ مع الزوجة الرابعة ؟ "

خيامٌ خيامْ

تضيء الثريّات فيها الأثاث الوثيرَ

ويمْرحُ فيها ذبابُ الكَلامْ

وأبوابُها من نحاسٍ تُجرُّ عليهِ السلاسلْ

قبائلنا تسترد مفاتنها

في زمان انقراض القبائل !

١٩٧٨/٤/١٧

هم

جفَّتْ
فلا تمرّ على شجرٍ
ولا عشبٌ على نهرٍ تخضّرهُ الضِفافْ
جفَّتْ
سقيناها نفوساً والعلاقاتِ الجميلةَ والأحبَّة والطفولةَ
وانسكبْنا
قلنا : نكون لها الغمامةَ ، وانسكبْنا
نسقي ، نوزع ماءَنا /دَمَنا
ونحلم بالمواعيد البعيدةِ والقطافْ
فإذا بها سبعٌ عجافٌ بعدها سبعٌ عجافْ
هل من مزيدٍ تبتغين هطولَهُ ؟
من أين سمْنتهم إذَنْ ؟
... لسنا نعاتبُ
نحن من جئنا خفافاً – لا مغانمَ تُثقِلُ الأَكتافَ – ندري
أنَّ سرَّكِ أخضرٌ ،
لكنّ من سرقوا الغمامةَ ،
عاتَبوكِ على الجفافْ .

١٩٧٨/٤/١٧

زقــاق

زقاقٌ طويلْ
كتبنا على حائِطَيهِ : نسيرُ إلى ساحةٍ
وغنى المغنونَ فيه الفضاءاتِ
والشمسَ والبحرَ والأسلحة ... ...
فيا ساحةَ الأضرحة !
كفاكِ اتساعًا !
ويا عمرنا امتدَّ ، يا أهلَ أطفالِنا
أرضِعوهمْ حليبًا كثيرًا ،
أَعِدُّوا لهمْ ما استطعتمْ من الضوءِ
أبقوا لهم كلَّ عودِ ثقابٍ
وخلّوا القناديلَ ، والزيتَ
فالليل ينوي الإقامة فينا طويلا .

١٩٧٨/٥/٥

وردة

فاجأتنا الطائراتُ
اقتربتْ
وانْخَفَضَتْ
ومَضَتْ مبتعدة .
... ...
قريةٌ ؟ أم جثةٌ مبتردة ؟
جثةٌ ؟ أم جمرةٌ متّقدة ؟
ماتت الأحجار والأشواقُ ماتتْ
وعلاقاتُ المحبينَ ، ولم تتجُ الدجاجاتُ
ولا الماعزُ فوق التلّة الجرداءِ
لكِنْ :
في ركامِ المشهدِ الموغلِ في الصمتِ
وفي الريحِ التي تصفر من حينٍ لحينْ
فاجأتنا
وردةٌ منفردة !

١٩٧٨/٤/١٣

سهرة

سأوقظُ هذا المساءَ شهيداً من القبرِ
أصحبهُ في شوارع هذي المدينة ،
سأُبقي عليه الدَّمَ المتخثِّر والوجعَ المستديم
وذكرى احتياجٍ ، وذكرى التخلّي
وأُبقي بأذْنيه صوتَ الرصاص الذي
رجَّهُ رجَّهُ رجَّهُ
ثم أراده فينا وأقصاه عنّا
سأسنده
بذراعي وأوقفكم :
"حدّقوا فيه
هل تجرؤون ؟ "
وأعلم يا إخوتي أنكم تجرؤون
وتستكملون التزيُّنَ للسهرةِ التالية .

١٩٧٨/٤/٦

لمسة

جَمَعَتْ بكفيها الحنانَ من الحقولْ
نثرته في شعري وفي صدري
كما فلاحهُ نثرتْ إلى سربِ الطيورِ شعيرَها
صوتٌ يجيءُ من البعيدِ إليَّ
تقتربُ المسافة ، إنَّه الخطر الجميل
من فرطِ رقَّتها أقول ، قَسَوْتِ ،
لا يتحملُ الجسدُ المعذَّبُ
بحر رقّتك الذي يأتي بفيروزاته ليلاً إليَّ
ومَدُّهُ حبٌّ يموِّجني ويغمرُ قامتي فرحاً
وعند الجزر يسحب خلفه تعبي الطويلْ

١٩٧٨/٥/١٢

منجل

تواصلْنا ، تواجَعْنا ، حكَيْنا
بكيتُ ، بَكَتْ ، ولكنّا هدأنْا
وفى شَغف
تلامَسْنا كسنبلتين
في حقلٍ بعيدٍ
وفى صمتٍ
تبادَلْنا العناوينَ البعيدة
وافترقنا

١٩٧٨/٤/١١

جسد

مثلما المنزل عند الفيضانْ

جَسَدي تحتلُّه الفوضى

فمن أحكَمَ أقفالي علَيّ ؟

هل ترى يا صاحبي باباً ثقيلاً

حشد الأطفالُ أكتافاً

فأعياهُمْ وما زالوا يريدون الدخول ؟

هل ترى في الجانب الآخر

أطفالاً وراء الباب ،

أعياهُمْ ، يريدونَ الخروجَ ؟

كلُّ هذا جَسَدي

آهِ ، من أحكَمَ أقفالي علَيّ ؟

١٩٧٨/٤/١٢

اشتهاء

حزامه الجلديّ
معلقٌ على الجدار
حذاؤه المتروكُ صار يابسًا ،
قمصانه الصيفية البيضاءُ
لم تزلْ تنام فوق رفِّها ،
أوراقه المبعثرة
قالت لها : سيمعن الغياب
لكنها هناكَ لم تزلْ على انتظار
ولم يزل معلقًا
حزامه الجلديّ
وكلما مضى النهار
تحسَّسَتْ خاصرةً عاريةً
واستندَتْ إلى الجدار .

١٩٧٨/٤/٣

الشجرة

وحشيةٌ ، عاليةُ الأغصانْ
مكتظةٌ بالثمرِ الطّيبِ والديدانِ والأولادْ
وبالطيور الآمنة
وبالأفاعي الكامِنة
زاهيةٌ ، وإذ تشاءُ داكنة
ساكنةٌ ، وإذ تهبُ الريحُ ماجنة
تشقُّها رصاصةُ الصيادْ
تُقَدُّ مِنْ أعوادِها الراياتُ والمشانقْ
ويحتمي بها اللصوصُ والعشاقُ والفلاسفة
والملكُ المطرودُ من سلطانِه
في ليلةٍ جاحدةٍ وعاصفة
لكنني وقد تشابكتْ أغصانُها علّيَ

عهدتُها لا تمنح الأمانْ ،

أعلنتُ خوفي للفتى الصغيرِ

إذ لمحتُ راحتيه

ممدودتَيْن نحوها ... ...

لكنني أراه راكضًا

يريد أن يعانق الأغصان !

١٩٧٨/٤/١٣

تميم

نما واحتمى بالجمالِ
وأجّلَ خوْفي
وعاجَلني الشوقُ في بُعْدهِ
وأصدقُ لو قُلتُ إنَّ النوافِذَ
والضوءَ والعشبَ تشْبههُ
وإنّ القصائدَ لا تستطيع اللحاقَ بهِ
فما زال يعدو ويعلو
وللشِعر عكّازتان !

١٩٧٨/٦/١٣

قبل الأوان

إلى أمل دنقل ونجيب سرور ويحيى الطاهر عبدالله

كلُّ مَيْتٍ قتيلْ !

كلُّ موتٍ جريمه .

حَسَنٌ يا فتى

هذهِ حِصتُكْ ،

غرفة ضيقة

والردى يتزاحم فيها مَعَكْ

في مآقيكَ لؤلؤةٌ لا تُرى

في يديك الهواءْ

لا يداويك طِبٌ

وأنتَ لقومِكَ بعضُ الدواءْ .

هكذا ينتهي من عَصَى

مُفْردًا كالدعاءْ .

عاريًا كالحصَى

هكذا ننتهي عادةً

هكذا ينتهي من يرى

يجفل النجم من قرعةِ الطبلِ

يصطكُ بابٌ سميكٌ على طائرٍ

تُسرعُ الشاحِناتُ التي هَرَبَتْ مِنْ رجالِ الجماركِ

يستعرضُ العسكريونَ عسكَرَهُمْ صاخبينَ

وهذي المدينةُ لم تدرِ أنك بين الملاءاتِ في وحشةٍ

وإلى وحشة مثلها ستغذّ الخُطى

حين يستيقظُ الرُّعبُ مِنْ نَومِهِ

حين لا يسمع الراكضونَ إلى عَتَباتِ المهالكِ

أجراسَنا

حين يمشي الهلاكُ إلينا

ونحسبهُ شجرًا ماشيًا

حينما يصبح العمرُ لا خيرَ لا شرَّ لا بينَ بين

حين تخشوشنُ الرّوحُ أوجَ الصبا

حين تغدو الحياةُ كحفنةِ ماءٍ نحاولُ إمساكَها باليديْن

قتيلٌ هو الحيُّ فينا

وميتنا ، ميِّتٌ مرتيْن .

هكذا ننتهي أيها اليافعُ الكهلُ

حتى اشتعال البديل

هي جرثومة في البلاد لها الحَوْلُ والطَّوْلُ

والكِلْمَةُ الفَصْلُ واللّغزُ والحَلُّ

جَمْرٌ ويبتلُّ جِسمٌ وينحلُّ عُمْرٌ ويَنْسَلُّ

عَدْلٌ ويختلُّ أرضُ وتُحتَلُّ

والسيفُ يُستَلُّ مِنْ أجلِ أعناقِنا

فلماذا المراثي إذَنْ ؟

إغْضَبوا للقتيلْ !

١٩٨٣/٦/١٨

الخنزير

أملَسُ الجِلدِ ، بَطينٌ و بَطيءٌ وسميكُ الرَّقَبَة ،
وثقيل الخطوِ
عيناهُ إلى الأسفلِ دوماً تنظرانْ
ولَهُ خطمٌ غليظٌ ناتيءٌ
ونخيرٌ كصرير العَرَبَة ،
كومةٌ مدْهِنةٌ حينَ ينامْ
وارتجاجٌ دبقٌ في لَحَظات الهَيَجانْ
كَونُهُ يبدأُ من وجبتهِ حتى حدودِ العَتَبة ،
يحتسي قهوتَهُ الأولى على مَهْلٍ
ويختارُ حذاءً لامِعاً
وقميصاً ذا نقوشٍ وخطوطٍ
ورباطاً شَجَرِيّاً للعُنُقْ
يرتدي بدلتَهُ السمنيَّةَ اللَّونِ
ويحشو جيبهُ و "السامسونايت"
بنقودٍ وعقودٍ وعناوين العشيقاتِ

ويُلقِي نظرةً بين المرايا

يَسكبُ العِطْرَ الفرنسيَّ على كفَّيهِ والخدّيْنِ مَرَّاتٍ

ويمضي ...

مُغلِقاً بابَ ... الحَظيرَة .

١٩٨٢/٣/٢٦ ·

الحـظيرة

المَمَرّاتُ من المرمرِ
والقاعاتُ ضوءٌ ومرايا ،
السجاجيدُ من الحائطِ للحائطِ
والأرضُ رُخامْ !
تُحفٌ من كلِّ فَجٍ وُزِّعَتْ بين الزّوايا
والحشايا من حرير
حشوُهُ ريشُ النعامْ
كُتبٌ تلمعُ في أغلفةِ الجلدِ السميكة ،
إسمهُ بالأحرفِ الأولى عليها
وعلى كلِ أداةٍ للطعامْ
يجثمُ اللونُ ، حشيشياً على المقْعدِ
فضّياً على المسندِ
محمرّاً على الموقِدِ
مصفرّاً على طول الأريكة ،

وعلى الحائطِ تبدو صورةُ الخنزيرِ كالبدرِ التَّمامْ

ضاحكاً والدرُّ منثورٌ أمامَه ،

بينما ينسدلُ المخملُ فوق النافذة

فاصلاً بين الحظيرة

والشوارع .

١٩٨٢/٣/٢٦

صـــورة

سماءٌ زرقاء ،
غيومٌ بيضاء ورماديّة
شوارعُ ممتدة ، متقاطعة ، منحنية
تتأرجح بينها الشّعاراتُ
حمراء زرقاء صفراء خضراء ، متضاربة ،
بيروتُ في الضُّحى ،
وأمام مدخل البنايةِ ذاتِ الطوابقِ السبعة
تقف عربةُ نقلِ المَوتى
وبداخِلِها شيخان –
بلحيتين كسولتَيْن –
استغرقاً في النومْ .
سائقُ العربةِ يدورُ حولها بنفاذِ صبر .
في شرفة الطابق الأول من البناية
شابان بملابسَ عسكرية .
في الشرفةِ الثانية
رجلان يلعبان النّرد .
في الشرفةِ الثالثة
صبيّةٌ تنفضُ سجادةً قديمةً .

بمضْرب الخيزرانْ

وبين ضربة وأخرى

تتقي بيدها اليُسرى

غيمة الغبار

في الشرفة الرابعة

سيدة تنشر أقمطةً بيضاءَ علىٰ حبَل الغسيلْ .

في الشرفة الخامسة

ولدٌ ينطّطُ طابةً ملوَّنة

في الشرفةِ السادسة

لا أحدْ

في الشرفة السابعة

حشدٌ من النساء .

فجأةً يطلُ الولدُ - مضطرباً - من الشرفة الخامسةِ

يداه تمسكان الإِطارَ الحديديًّ

وعيناه تلاحقان في هلعٍ ولهفةٍ

طابته التي راحتْ تتدحرجُ في عرضِ الشارْع ،

حيث ما تزال عربةُ نقلِ الموتى

تنتظرُ نزولَ التابوتْ .

بيروت - ابريل /١٩٨٢

الشاعر

يبدو كوجه النهر هادئاً
يقضي شؤون يومهِ العاديّة
كالجدّةِ التّعبى ، وبائعِ الحليبِ
والصبيِّ والعاشقةِ الملولِ ،
والمسافرِ العَجولِ والسيدةِ الوحيدة .
وفجأةً .
يُلقى به منفرداً
على شجيرة شائكةٍ
تلتفُ حوله فروعُها الهائشةُ المدبّبة
فيبدأ التململَ المُلِحَّ للفكاك من وَخْزاتها العنيدة
وكلما استطاع أن يزحزح الشباكْ
توهجَتْ من حوله الألوانُ والغيومُ والطُرُقْ
وحين يكمِلِ الإفلاتْ
يكون مرهقاً ، لأنهُ
يكون أكملَ القصيدة .

١٩٧٩/١١/١٩

رضوى

كما يدخل الماء جوف الصخور
بقريتنا في فصول الشتاء
يشق لهُ ألف درب بباطن أعلى الجبال
ويخلد فيها كثعلبة ترقبُ
ويصغي لوقع خطى الزارعين
وشق المحاريث للأرض عاماً فعاماً
ويخرج نهراً ، ونبعاً ، ونافورة تسكبُ
ويهتف كالطفل :
ها قد أتيتُ ، تعالوا اشربوا
فيشرب منه اليمام وأهل القرى
وقوافل ضلت ، وسنجابة تلعب
وتتغمر الأرض بالبرتقال
وتحمر فيها الورود ، وتنضج كل الثمار الوليده

كذلك حبك يدخلني

ويشرق وجه القصيده !

* * *

رضوى

يا قمح الخابية الذهبي لكل الجوعى

تنضجك الشمس المصرية

خبزاً للفلاحين يقوّتهم

كي تبذر أيديهم قمحاً آخر

وتُصيّره أيديهم خبزاً

وتصيرين !

* * *

قومي يا دائرة الأشكال

وضمي هذا الكون الطفل وقوديه إلى الرشد

تلثمه شفتاك حناناً

وتعالي نتبادل حمل الكون الطفل بكفينا

فالكون جميلٌ ، وثقيلٌ ، فتعالي

إني وحدي !

* * *

لو ألقاك على جبل في التيه ، وما فيه

إلا أشواك الصحراء ووهج الشمس الشريره
ورمالٌ ورمالٌ ورمالْ
حتى سقف الأرض النائي
لا نبعث الناس من الرمال وجاء الأطفال
وأتت آلاف صبايا الدنيا
ورجالٌ وشيوخٌ وقبائل
وامتدت في التيه صفوفٌ من خيمات الآتين
وستجري في الصحراء الأنهار
يتعمدّ فيها الأطفال
وتسقي العطشى
يصبح وهج الشمس الشريرة ضوءاً للعشاق
وعيناً ترعى الأولاد اللاهين
يبرق في الأفق البرق الفضيٌ وينهمر المطرُ
تترامى غابات الوردِ
وينبعث البشرُ
وأصير أنا
وتصيرين .

* * *

وإذا أمشي عند حفافي الشمس

أوقفني النيل جوار الشارع

قاسمني حفنة فستق

وتحدثنا

أخبرني أنك ذات صباح

قدمتِ له ورده

وأتى بجميع الأطفال يحدثهم عن رضوى

ذات العينين الواسعتين

أخبرني أن الوردة كبرت في وهج الشمس

صارت غاباتِ ظللت الشطين

سكنتها كل عصافير الوطن الجوعى

وبنت أعشاشاً ذهبية

غنت ، طارت ، عادت تحمل قمحاً من أبعد بيدر

حدثني النيل وقال :

سألتني عنها الأشجار

سألتني عنها قطرات الأمطار

سألتني عنها أطيار الفجر

سألتني عنها مصر .

* * *

يا ذات الوجه المنذور لأرض الدلتا

ولحب فلسطينيٍ مُتْعَبْ
يا رضوى ، يا ذات الوجه الطيب
يسري في جسمي نهرٌ وشراع
وأنا أبحر بداخل نفسي كل مساء
يحملني تياري الغامض نحو جبينك
وأنا أبحر داخل نفسي داخل شعري كل مساء
يحملني تياري الغامض نحو جبينك
وأنا أبحر داخل نفسي داخل شعري داخل وطني كل
مساء
يحملني تياري الغامض نحو جبينك
تحملني كفاكِ على وهج القوة
وإذا ما شحبت وجنات بلادي
وإذا ما احتلَّكَ سواد الأفق
على أرض الوطن المقهور
يتحول لون شراعي العاديّ
إلى لون الدم المسفوكِ
على كوبري عباس
تطلع فيه بنفسجة المنذورين
يقفون جوار النصب التذكاري "ونهضة مصر "

نذروا أنفسهم للعري الحارق
كي يكسو وطناً عرّاه الأقزام وهم يلهون
يا رضوى

في جسمي يسري نهر وشراع
وأنا أبحر نحوك كل مساء
أحمل في مركبتي الكنعانية تاريخ الشهداء جميعاً
يتحول لون شراعي العاديِّ إلى لون الدم القاني
لو شحبت وجنات بلادي
أو لو صار مُحالاً أن ألقاك

* * *

يا ذات الوجه المنذور لأرض الدلتا
ولحب فلسطينيٍ مُتْعَبْ .
لما جئتك جئت كحبة زيتون عاريةٍ
لم أحمل ذهباً أو وعداً بالفستان الأبيض ذي الذيل الممتد
لكني حمّلتكِ وعداً بقصيدة
ووعدتكِ أن أحيا فيك وفي وطني المتعب
ونذرنا نفسينا للعشق فلا ندري
من فينا المعشوق ومن فينا وطن المعشوق

ومتى نعشق هذا أو ذاك
لا ندري إلا أن العشق توحد فينا
والدرب طويل ممتد
ما بين الراحة والزنزانة
وتوحد فينا العشق وسرنا
والدرب طويل ممتد
ما بين الصمت وبين الصوت
وتوحد فينا العشق وسرنا
والدرب طويل ممتد
ما بين الميلاد وبين الموت
يا ذات الوجه المنذور لأرض الدلتا
ولحب فلسطينيٍ متعب
إنْ كان الموسم هذا العام شحيحاً
والزيتون قليلاً في كل خوابي الفقراء
فلنرفع أيدينا في وجه الشمس
ولنقرع أسماع العالم :
موعدنا العام القادم !

* * *

سميتكِ أول مقتول خلف متاريس الكوميونه

سميتكِ أول مولود في مصر الحره

سميتكِ أول عاشقةٍ منذ الطوفان

سميتكِ أول فلاح ينضمِ لعزالدين القسام

سميتك أجمل طفلٍ ترضعه بين الغابات غزاله

تطلع من بين يديه الأشجارُ

لتمنح ظلاً لمواكب كل الناجين من المأساة

تطلع من كفيه ينابيع الماءِ

لتسقي أهل السر الماشين إلى القَدَر الآخر

سميتك أشجع من يحمي الباب الموروب من الإعصار

سميتك راية بلدي إذ يرفعها أولُ من يصل الأسوار !

* * *

يا من وصفتها كل مواويل الرعيان

وشَدَتْها كل أغاني الفلاحين

يا من كتبتَها أيد سمراء نحيلة

فوق الجدران الضيقة السوداءَ

لتحتضن الشمس المغلولة

يا ضد جميع جرائدنا الرسمية

إني أقرأ في عينيك الزمن القادم

ولهذا أتحمل عبء حياتي

نشوانَ

وظهري يرزح تحت الأحمال

أتبسم إنْ ساءت كل الأخبار

وأسير وفي ظهري الخنجر

ما دمت تمرين براحتك الخضراء على جرحي

ما دامت شفتاك تقبل مفرقيَ المتعَبْ

ما دُمتِ مهددةً مثلي

في نفس الدرب

ومن نفس الخنجر !

*   *   *

تأتيني ليلةُ أن رسموا لحبيبي دائرة

كالقرش المثقوب وقالوا

لا تتخطاها

كي نرضى عنك

وقال حبيبي لا

فغدا دائرة تحتضن بلاد الله بمن فيها من أجيال الفقراء

خرج حبيبي من دائرة القرش المثقوب إلى البيدر

وكحبّات القمح توزع بين سهول المنذورين

وغدا دالية يزرعها معتقل تؤنسه في ليل المنفى

تطعمه عنقوداً في كل مساء

أصبح ظلاً للماشي في قيظ الوهج الظهريِّ

إلى القَدر الآخر

خرج حبيبي من دائرة القرش المثقوبْ

واختار لمولده يوماً آخر

فاتسع الوطنُ

كما يتسع الأفق أمام المهر النافر !

* * *

أنا يا رضوتي الراعي الذي مزماره القصبي لا يتعب

أغنيكِ

عتابا ، ميجانا ، شِعراً أسميكِ

وحقلاً لليمامات الصغيرةِ

تُطلعين الزاد للأغنام والرعيانِ

هل لي أن أساويكِ

سوى بالبيت

والوطن الذي تعطيه كي يزهو فيعطيكِ

وهل لي أن أساويكِ

سوى برنين باب السجن حين يرنُّ منفتحاً على الشمسِ

وهل لي أن أساويكِ

سوى بعذاب وادي النيل أو بتوجُعِ القُدسِ
خذيْ صوتي الذي ينساب متجهاً إليكِ
مُضَيَّعَ الخطوات عبر مجاهل الدربِ
ألا يا ظبية شردت وراء البحر
إني طفلك الراعي
وأنت الأفق أمشي نحوك ، اقتربي !
فخرفاني الصغيرة ، أسطري ، شعري نأت عني
ولست أنا بصيادٍ لأفزع ظبيةً شردت
ولكني أنا الراعي ،
الذي مزماره القصبيُّ لا يتعب
أُغنيّكِ
عَتَابا ، ميجانا ، شعراً ، أَسمّيكِ
وحقلاً لليمامات الصغيرة
يطعم الرعيان والخرفان ، قال الجوع إني ضيفكَ الأبديُّ
منذ الآنَ
ها إني أناديكِ
وأركضُ نحوَكِ ، اقتربي
وأركض أركضُ ، اقتربي
تعالي أحتضنكِ فتهطل الأمطار في الصحراء والجردِ

تعالي ربةً للخصب أحملها على زندي
أطوف بها بلاد الله والفقراء
أكرر فيهمُ باسمِكْ ،
أقول : علامتي صوتك
أقول : علامتي وجهك
أقول : علامتي جسدك
تعالي وابعثيني أمةً وطناً
رجالاً يَخْرجون إذا مددتِ إلى أديم الأرض إصبعكِ
الذي إن قال كن ! فيكون
تعالي أحتضنك ينَور النّوار
تطلع نبعةٌ فوّارةٌ في الأرض ما بخلت على أحد
تعالي خلصيني من تعوّديَ الحياةَ على مدار العام
واخترقي تَكَرُّرَ أوجهِ الأشياءْ !
تعالي وادخلي جسدي !
تعالي وادخلي جسدي
وليس برفق من ينجنب الأشواك حين يداعب الزهرة
ولكن
مثل عاصفةٍ على شجر الصنوبر في ملاعبنا
ومثل تنقُّلِ النيران في الحطبِ

تُوَجْوِجُ في جفاف الجذع جامحةً

فكل شرارةٍ نجمٌ

وكل توهجٍ جمره

تعالي مثل مُكتَشِفٍ

يمزّقَ بعد رحلته خرائطهَ القديمةَ

غيِّريني وادخلي جسدي

كعصيان على متَن السفينةِ

تستبد بها رياح البحر (يا أشياء كوني

كيفما شئننا ، ويا صاري السفينة ، اعبر الدنيا وحيداً أو

تكسَّر)

تعالي صيّريني مثلما الزيتون تعصره الرحى زيتاً

ينير سراج بيتٍ في القرى ليلاً

ويمهِر حلوةً زُفَّت لفلاحٍ تراقّبَ ثروة الموسم

تعالي وادخلي جسدي

كهبةِ ريح

يصلي ألف بحار لمقدمها

توقفت السفينة في أعالي البحار

من شحّ الرياح بهم

وفي أقصى الموانىء ترقب الحلوات عودتهم

وصمت الريح منفى

والبحار الزرق منفى

والوليف على انتظارِ

والشراع كرايةٍ في يوم حزنٍ نُكِّسَتْ

هبّي عليه

وأرسليه إلى مياه البحر

راية ظافرٍ عائد

وهبّي

علَّ شاطئهمِ يلوح ، تلوح في كل المرافىء

رفة المنديل

في أيدي الصبايا

وتخبرهم نوارس شاطىء الأحباب

أن الواقفين على الموانىء صادقون

وأن موج البحر كاذب !

تعالي وادخلي جسدي

كرَشٍ هبّ من خرطوش صياد على الدوريٍّ

كوني الآن لاذعةً

كأحلى ما تكونين

ادخلي جسدي

كما الشلال يدخل أول النهر

أرسليني جدولا

في صخر بلدتنا

لتشرب منه

مهرةُ جدنا الشهباءُ

إن عطشِتْ

وتهبط قرب شطيهِ

الحمائم والشنانير المزغدمة الجميلةُ

يِنبت النعناع في جنبيه

يرقص حوله الحجلُ

تعالي !

وارفديني

ولنكن نهراً

عظيماً ماله مثلُ

نغذّ السير بين نواتىء الصخرِ

ونركض : علّنَا نصِلُ !

* * *

عيناك ! تطول حكاية عينيكِ

فرَسٌ أطلقها البرق من الشرقِ

لمحتني ، حملتني عبر التاريخ إليكِ
ها هي تعدو فوق بيادرنا
المرشوشة بالأمطار
تعدو فوق المرجِ
فيلتفت الفلاحون
يرفعوا أجسادهم التعبى عن غرس الزيتون
والتفتوا :
فرَسٌ تعدو فوق المرج
... يعودون لجني المحصول
....
فهاتي نظرةً في البعد أجلس في مساحتها
كطفل بعدما عوقب
يقرفص صامتاً ويغالب الدمعا
يظل معلق النظرات يرسلها إلى أُمِّهْ
كأن صلاة كل المؤمنين تحل في جسمه
فيخشع بين أيديها
وقد يضحك
وقد يبكي
فهاتي نظرة في البعد

أجلس في مساحتها
كطفل بعدما عوقب
وأسجد في سكون الليل
إجلالاً لما تخفيه عيناكِ !

* * *

وحدي أحمل أفراح الغابات
والأنهار السرية ، عباد الشمس
وأجنحة يمامات بلادي
أحملها
أحمل قاعات الخطباء الشبان بليلات البرد الكانونية
أحمل أحزان الغابات
والأشعار وكل مواثيق المطلوبين
أحمل باقات النرجس من "عين الدير"
تلذعني رائحة الزعتر في وديان بلادي
وأراني حلواً ،
خيّالاً تحكيه مواويل القرية
تحملني فرس البرق الأسطورية
وأراني منتصراً عبر هزيمتيَ الأسطورية
فانبعثي أيتها الفرس القادمة من الشهبِ

طوفي مع جنّيات الماء

بأنهار بلادي

فلعل الأمواج الوردية تبحر

بسفائن كل الأطفال الفقراء

يقفون ، تحدق أعينهم في الأفق الغسقي النائي

ويغنون بصوت واحد

هيا

لموا أسمالكم السوداء لنبحر !

وتزغرد جنيات النهر وأشرعة السفن

وتجن مياه النهر بأغنية الأطفال الفقراء :

أبحرت كل المراكب

هربت كل الثعالب

يا غراب الجوع لا تنعق علينا

أصبح المغلوب غالب

هللو يا ! "

عيناك ! تطول حكاية عينيكِ

فرسٌ أطلقها البرق من الشرقِ

لمحنتي ،

حملتني

عبر التاريخ إليكِ

أعطتني شعر الورد وشعر النذر

أن أبحر ضد الماء

أعانق أشجار الزيتون

أمتزج مع الأغصان الخضراء

مع الأوراق الخضراء

وأعري صدري للريح ، ولا أسقط إلا مع آخر ثمرة

ويدور غنائي مع دورات الريح بأعلى الأشجار

عبر سفوح الوطن المزروعة تنتظر الأمطار :

ما دامت عيناك دليلاً لنشيدي

فأنا شاعر

وأنا والشعر لعينيكِ !

تأتيني أمسية ترقبنا وقع الأقدام

على درج البيت

والطَّرْقَ الوحشي على الباب النائم

ها قد جاءوا في طلبك !

لا .. لم يصلوا .. بعد

وعيونك يا زوجتيَ اتسعت ببهاء البحر

الواثق من عمقه

كانت عيناك الخائفتان قليلاً
والعارفتان كثيراً
أقوى منهم
أقوى من وقع الأقدام على السُّلَّمْ
كانت أيديهم لا تتسعُ
إلا لحديد القيد المغلق
أما أنت
فتتسع يداك لحمل العالم
يسكنها الوطن وحب المخدوعين الآتين لأخذك
من غرفة نومك قبل الفجر
ومن بين يدي
من بين رموش الوطن المستيقظ يرقبهم ..
... ويصلي لك !
حين ذهبتِ
مالت أزهار اللوتس نحو الماء
ومدت كفيها تستبقيك !

* * *

حين ذهبتِ
حقل من عباد الشمس تلفت نحوكْ

وتخلى عن وجه الشمس !

* * *

حين ذهبتِ

صعدت كل الأفراس البيضاء لأعلى التل

تنتظر تفتح زهرات الوادي

كي تعرف أنك عدتِ !

* * *

حين ذهبتِ

تغير معنى الطرق على الباب

وتغير عنوانِ البيتِ !

يسألني أطفال الحي

اللاهون وراء فراشات العصر :

هل أنت اليوم بلا أختِك ؟

فأقول لهم :

أختي ذهبت بعد البحر

فانتقلت غابات اللوز الأخضر

بعد البحر

أختي ذهبت بعد البحر

فانتقلت أشتال الزيتون الفضيّة

بعد البحر

وأقول لهم :

العالم

يرحل عني بعد البحر

وأنا

أتحمل وحدي هذا الوزر

أتحمل

يا أطفال الحي

اللاهين وراء فراشات العصر

مهمة أن أحيا !

يا زوجتيَ الغائبة بعيداً ، بعد البحر

أتوهم في ليلي أن النوم عميق

لكن غزالات الحلم الواسعة العينين توافيني

تأتيني أمسية الفستان الأزرق

لما غافلت البحر نهاراً

وسرقت لفستانك لونه

فاسود البحر طوال الليل

يتهامس مع موجاته

ويهدئُ من غضبتها الصاخبة عليه

ويعدها أن يسحرك بسحر الشمس النائمة وراءه
يأخذك بعيداً في صحراء البحر
ويرجع لونه
وتموّج فستانك باللون البحري على جسدي
تحمله النسمات
وسمعنا همس البحر كشفنا سره
وتعانقنا بين الرمل وبين الماء
لكن الشمس النائمة وراء البحر
سحرتك كما وعدت ، لما بزغت
وأعادت للبحر الزرقة
فخطفك يهدهدك السحر الشمسي
وغلبني
أعلنت هزيمتيَ القاسية وحيداً عند الشاطيء
أرسل عينيّ بعيداً .. بعد البحر
من يرفع عن محبوبي
هذا السحر الشمسي !
من يعطيني قوته الخارقة
لأغلب بحراً
فأنا أرسل عينيَّ ، إليك أصيحُ أصيحُ

غلبني البحر !

* * *

يا زوجتيَ الغائبة بعيداً ، بعد البحر
أتوهم في ليلي أن النوم عميق
لكني أستيقظ كل صباح عند الفجر
فتطل مع الفجر قصيدة
تسألني عنكِ
لا أبكي
أذهب لحظاتٍ لسريرك
تستيقظ منه قصيدة
وتقول " صباح الخير "
وأقول " صباح النور "
آخذها من كفيها
وأعود إلى قلمي وإلى الدفتر
تجلس بجواري
واضعة راحتها فوق الخد
تسألني عنكِ
لا أبكي
أنظر للمكتبة الهادئة كما كانت دوماً

في ركن البيت

وأرى أوراقك ألمسها

ترتعش على شفتيَّ قصيدة

تسألني عنكِ

لا أبكي

وأمدُّ يديَّ إلى ألبوم الصور الأحمر

فتطل قصيدة

تنتشر قصائدك ، تحيط بطاولتي

تتحدث عنك طوال الليل

وتهل الشمس

ويجيء نهار آخر

وتردد كل قصائدك نشيداً في الأحلام

أمي تركتني عند الفجر

أمي ذهبت بعد البحر

هاتيها يا فرس الشعر الفضية

وسأسقيك حليباً مسحوراً

يملك إليها

فتعالي يا آلهة السحر

واسقي الفرس الفضية حتى تشبع

وانتظريها حتى ترجع

تعدو الفرس المسحورة تبحث عنك بعيداً .. بعد البحر

ويجيء الظهر

ويجيء العصر

ويطل الفجر

ويمر نهار آخر !

تخرج فلاحات قرانا

يحملن دلاءً

يرشقن سماء القرية برذاذ الماء

ويغنيّن نشيد الاستسقاء

يا رضوى

وأنا أستسقيك

ودلوي مملوء بزهور الأشعار

أرشقها بين يديك

وأدورّها سبع أساور في زنديك

أرشق منها بين نهودك فله

أفرشها فوق طريقك

يفرغ دلوي المملوء ، فهل يأذن محبوبي لحظة

لأعود إلى بيتي البرّي النائي
كي أحضر دلواً آخر
مملوءاً بزهور الأشعار
أرشقها طول الموسم بين يديك ،
وفوق طريقك
فأنا
كالفلاحات بقريتنا
أخرج في الليل لأسقيك تهلّين عليّ
ويهل شتائي
يخضوضر في بيتي البري العشبُ
ويتفتح الليلك
وأظل أطوف حواري القرية طول الموسم
استقيك فهِلّي هلّي ،
هطلت أمطار الفلاحات
فغنين نشيد الشكر لآلهة الأمطار
وروّحن
وأخلين الساحات
أما شاعرك الواقف في عري ظلام القرية
ما زال يغني وحده

غطاه ندى الليل وكلّت قدماه

لا يسمعه إلا راعي الليل ، القمر الطواف يسوق النجمات

يا رضوى باحت لي أصغر نجمة

(إذ غافلت الراعي الغيران من الشاعر) عن وجهة راعيها القمر وقالت

راعينا يأخذنا الليلة بحثاً عن رضوى

فتعال لعلك تلقاها

يا رضوى !

إني والقمر الراعي والنجمات نسير إليك الليلة

وأنا والقمر الراعي والنجمات تعبنا ونعسنا

هل تأتين ؟

يا رضوى الغائبة بعيداً

بعد البحر

ها نحن حملنا باقات الورد الأحمر

وتوزعنا

في كل مداخل بلدتنا

ننتظر خطاك ،

صوت صهيل حصانكِ

وجهك يبزغ شمساً فوق الزرع الطالع

يا رضوى

الزرع الأخضر طفلّ

القمر الأحمر طفلّ

والعالم طفل

فتعالي

ها نحن توزعنا في كل مداخل بلدتنـ

ها نحن حملنا باقات الورد الأحمر !

١٩٧٣

غمزة

غَمزةٌ مِن عينِها في العُرسِ
وانجنَّ الوَلَدْ !

وكأنَّ الأهلَ والليلَ وأكتافَ الشبابِ
المستعيذينَ مِن الأحزانِ بالدبكةِ
والعمّاتِ والخالاتِ والمُختارَ
صاروا لا أحَدْ !

وَحْدَه اللوَيحُ ، في منديله يرتجُّ كلُّ الليلِ
والبنتُ التي خَصتَّهُ بالضوءِ المُصَفّى
أصبَحَتْ كلَّ البَلَدْ .

مَدَّ يُمناهُ على آخرِها
نفَضَ المنديلَ مثنىً وثلاثًا
ركَّبَ الجِنَّ على أكتافِهِ ثم رماهُمْ ، وانحنى .
ركَّبَ الجِنَّ على رُكْبتِهِ ثم رماهُمْ ، واعتَدَلْ .
قَدَمٌ ثَبَّتَها في الأرضِ لمْحًا

ورمى الأُخرى إلى الأعلى كشاكوشٍ
وأرساها وتَدَاً .

كلّما أوشَكَ أن يهويَ على سحجةِ كفٍ
جاءَهُ من النايِ سَنَدْ .

يلقفُ العِتْمةَ كالشهوةِ من أعلى بروج الليلِ
حتى ضوءِ عينيها تمامًا .
يَعْرَقُ الصَّدْرُ وشَعْرُ الصَّدرِ
مِن مَيْلاتِهِ يُمنَى ويُسْرى
ثم يَسري عَرَقُ الظَّهرِ عموديًا تمامًا
وَحياء القلْبِ خلى كلَّ ما في القلبِ يخفَى
والقميصُ الأبيضُ المبتلُّ
مِنْ أكتافِهِ حتى حزامِ الجِلْدِ
خليَ فقَراتِ الظّهرِ تُحْصَى بالعدَدْ .

غمزةً أخرى ولو مِتُّ هنا
غمزةً أخرى ، ولو طال انتظاري
للأبَدْ !

١٩٨٧/٣/٢٠

الشهـوات

كسَّرَ البرقُ بلّورهُ في الأعالي
وأفلتَ من دِغْله نمِرٌ طائشُ اللونِ
رنّتْ على ظَهره فضّةُ الليلِ
والرغبةُ الغامضة ،
كأنَّ الصواعق تعدو على جسمه وهو يعدو ويعدو
ويعلو عن الأرضِ
حتى ليوشكَ أن يشغلَ الجاذبيةَ عن شُغلِها
لحظةً ،
ثم يرقى إلى ما يشاء الخيالْ !
هذه شهوتي للتي أشتهيها بخمس حواسٍ
ولكنّها لا تُنالْ !

نِمرٌ طائشٌ في علاليهِ قلبي
ووَثْباته طردُ ضوءٍ لليلِ وليلٍ لضوءْ

وأنا لم أعد أشتهي أيَّ شيءْ
فأنا أشتهي كلَّ شيء
من زمانٍ يليق بموتي
إلى أول المشي واللثغ والأوَّلِ الإبتدائيٍّ
حَبٍّ الشباب ومشط السخافةِ
رسم الشوارب بالحبر فوق الشفاهِ
دويٍّ البلوغ الذي يخلط الرعبَ باللذةِ
المستطيلةِ شيئًا فشيئًا
ويأخذنا راجفين إلى موعدٍ أهبلٍ
تحت بيت الدَّرَج .

شهوةٌ للَّعِبْ
لِلُصوصيةٍّ الطفلِ فينا
نُغافلُ بُخلَ العجوز التي وجهُها
مثل كعكٍ تبلَّلَ بالماءِ
كي نسرقَ اللوز مِن حقلها ،
متعةُ العُمر أن لا ترانا
وأمتعُ منها ، إذا ما رأتْنا ،
مراجلنا في الهَرَبْ ،

وأمتعُ مِن كل هذا
إذا استَلَمْتَ خيزرانتُها واحدًا ،
وانضَربْ !

شهوةٌ للوساوس في ليل قريتنا ،
كلٌّ من زاد عن عمرنا سنةً
خوّفَ الكلَّ بالضّبعِ أو بابن آوى
وفاخرَنا بالجسارةِ
واصفرَّ خدّاه من قطةٍ عابرة !

وأنا أشتهي كلَّ شيء
من مكان يليق بموتي
إلى شغفٍ أزرقِ النار بالجارةِ الفائرة .

من حريرِ التلامسِ والإنسجامْ
والنعاسِ الشفيفِ
وذاك الحفيفِ
إذا النّورُ حَكَ المخدّةَ شيئًا فشيئًا
وعزّ علينا القيامْ !

إلى شهوتي لمطار رحيمْ
ولذاك الطراز الذي لم أُجرّبْهُ
مِن سفر للسفر
حيث لا يغرس الضابطُ الوحشُ
نابيْهِ في روح روحي
ويجلسُ في كامل الاعتزازِ بسلطانهِ
مثل ضبعٍ وسيم !

شهوةٌ لوجوه النّساء اللواتي يَخفْنَ قليلاً
ولكن يقفن طويلاً بجفن الردى وهو نائمْ
وطرْحاتُهن الغيومُ وأقدامُهن الجِنانُ
وفي روحهن الأساورُ والماسُ
لا في المعاصِمْ
يطرز أثوابَهن العَجاجُ الكريمُ
فيخدشن خوذة عصر الغزاةِ
ويُسقِطن عَصْرَ الهوانمْ
شهوةٌ لوجوه الرجال الذين بنوا في المضافةِ
بيتَ الكرمْ
وبيتَ النكات اللئيمةِ

بيتَ التهكّمِ من كلّ عالٍ قويٍ
وبيتَ المساء الطويل بطول الجدالِ
وأخبار كلّ البلادِ
كأنّ الحصيرةَ مِن تحتهم
هيئةٌ للأممْ .

شهوةٌ لبلادٍ
نجوع ونشبع فيها
ونُسجَنُ أو نطلِقُ الصدرَ للرّيح فيها
وفيها الذي يسلب الروح منها
وفيها الذي يسكُبُ الروح فيها
ولكن يرِفُّ كريمًا عليها العلَمْ .
شهوةٌ لبلادٍ تُطالبُ أبناءَها
بأقلّ مِن الموتِ جيلاً فجيلا

وفيها مِن الوقتِ وقتٌ نُخصِّصُهُ
للخطايا الحميمةِ والغلطِ الآدميِّ البسيطِ
وزحزحةِ الافتراضِ البطوليِّ عنّا قليلا .

فمسكينةٌ أُمَّةٌ حين تحتاجُ كلَّ البطولاتِ
مِن كُلِّ أبنائها
وتعيشُ الحياةَ قتيلاً قتيلا .

شهوةٌ لبلادٍ تَقِلُّ الأناشيدُ فيها
تِقَلُّ الرموز ، تقلَ الطبولُ
وفيها نعود إلى نمنمات احتياجاتنا العابراتِ
بلا خجلٍ أو ندمْ .

شهوة أن أصدِّقَ أنَّ البسوس
تجوب عواصمنا وهي تحمل خُرجًا من التكنولوجيا
وترعى حقولَ الذهَبْ ،
وأنّا خرَجْنا من المشهد الآدميِّ وغبنا
وناقتُنا لم تغب !

شهوة أَنْ يُصابَ الأسى بالغَضَبْ
أو تُصابَ الدموعُ ببعضِ التعَبْ
أو يحدِّد لي ناقدُ الشِّعرِ
كيف أُفَرِّق بين الهِجاءِ ووَصْفِ العَرَبْ !

شهوةٌ أن تغادرني غصَّةُ الحلقِ
إذ ترفع الأمّةُ الآن راياتِها

شهوةٌ أن تقول " الأوبيك "
أيّ سعرٍ تحددُهُ لدمي في اجتماعاتِها .

شهوةٌ أن أَردّ على الهاتف المتأخر ليلاً
بدون التوجس من كارثة ،

شهوة أن أكون الضحية لامرأة عابثة
لا لثوري هذا الزمان ،

شهوة أن تكون الخنازير مَطْرَحَها ،
في الحظائرِ أو في المسالخِ أو في البراري
وليس على المقعد المخمليّ .

شهوة أن نُحِبَّ البطاطا ومقلوبةَ القرنبيطِ
وحتّى جَهنَّمَ أو أيَّ شيءٍ

سوى الأمريكان .

شهوة أن يفوزَ الفؤادُ بأحلى الوظائفِ :
حريةِ الشكر ، حرية الصمتِ
حرية الرقص حُبًّا إذا ما هَوَى
والتخلي الأنيق إذا ما نَوَى
والتنقلِ ما شاءَ بين الرضى والجفاءْ .

شهوة أن تكون الخُصومة في عِزّها .
واضحة .
غيرَ مخدوشةٍ بالعناق الجبانِ
فقبلاتُ من لا أوَدُّ حراشِفُ سردينةٍ
وابتسامتهُ
شَعرَةٌ في الحِساءْ .

شهوة أن تكونَ المودَّةُ في عِزّها .
واضحة .
دونَ طُعمِ الوُعودِ ودون اللُّغة ،
فاللغة

عُلْبَةٌ للرِّياءْ

واللغة

لُعْبَةٌ في يَدَيْ مَن يشاءْ

واللغة

رِشْوةٌ للنساءْ

واللغة

سمسمُ الكاذبين الوفيرُ

وفخٌ يهُيأ للبنت منذ الصباح المنمَّقِ

حتى سرير المساء .

شهوةٌ لغموضِ العتَبْ .

شهوة لاعتذار العيون الذكيّ .

شهوة للضمير الأنيق .

شهوة ليد في يدي في الزحامْ .

شهوة أن نغفَّ الحياة كإبريق ماء

تَبَلل فخارهُ بالندى .

شهوة أن يقول المحققُ

من أطلق النار في رأس " ناجي العلي " .

شهوة أن يحذرني أحدُ الناس

مِن طعنةٍ في الظلامْ .

شهوة أن أرى ما يُرى كلَّهُ
في شمولٍ عظيمٍ يوحد بين نجوم السماءِ
وخصلة عشب بقاع البحار
وبين كهوفـِ العتامِ وقوسِ الأُفقْ .

شهوةٌ للّقاء مع امرأتين في امرأةٍ واحدة :
صُبْحُها في وقار الغسقْ
ليْلُها في فُجور الشفقْ
هيَ راهبةٌ في النهار
وفي الليل مرغابةٌ للمسّراتِ
ولوالةٌ بالنداءاتِ
مِصهالةٌ بالشبقْ .
شهوةٌ لتلاوين نَشوتنا
فهي خضراءُ غابيَّةٌ في ذراعيكِ
عند انغلاقِ العناقِ علينا
حَبيسَيْنِ في واسعٍ من فضاء النوايا
سَجينَيْنِ مثلَ العصافير في ريشِها

وهي تلهو وتلعبُ في الجوّ
هابطةً صاعدة .

شهوة لتلاوين لذتنا
وهي دائرة بيننا ، مِنْ بداياتها لبداياتها عائدة
وهي زرقاءُ فِضيةٌ حين تلمعُ رِعْشاتهُا في العظام
وتغدو أنينًا
وتغدو رنينًا
ونَصلُ المباهج يجتازُ جسمي وجسمَكِ
في لحظةٍ واحدة !

شهوة لتلاوين لمْساتِنا
فهي شاش الجراح التي خلَّفَ البُعْدُ فينا
وبعض الدواءْ
وهي زلزالنا الهشُّ تسري نُعومتُهُ
بالدويِّ الفُجائيِّ عند اللقاءْ
وهي خُبْثُ الثعالب عند اللعبْ
وهي ركنُ الملاهي الفسيحُ
المراجيحُ والطير والريحُ ، وهي المخدَّاتُ

إذ نستريحُ وعند الدعابات

شيطنةٌ من نوايا تُزيحُ الحياء

وتفتَحُ باب الشغبْ .

شهوةٌ أن أشُبَّ على سُلَّم شاهق

في أقاصي السماء

واستأذِنُ الله ، اسألُهُ :

هل رأتنا عيونُ الحبيب نميلُ

كحزمة قمحٍ

من المنجلِ الملتوي

للجفاف المُؤكّد

للمطحنة ؟

نُدَبِّرُ مُعجزة العيش بالمعجزات الصغيرة ،

بالصبر والطيش بالمهد والنعش

تمشي المذلة مشي الكريم وتمشي

وتمشي الكرامةُ مشْي الذليل لتمشي

ويمشي البريءُ كمشي الظنين ونمشي

ووالله إنّا أطعنا كما شئت

والله إنّا عَصَيْنا كما شئت

والله إنّا احتمَلْنا المواجعَ في كل فصلٍ
كما تتحملُ زيتونةُ الحقل كلَّ فصول السنة .

يا حبيبَ المحبيّن إنّا امتُحِنّا كثيرًا
وإنّا امتُحِنّا طويلاً
فرُحماكَ يا خالقَ الحاكمين ويا خالقَ الناسِ
يا خالقَ الوَحْشِ والسوسنة !

كلما كسَّرَ البرقُ بلَورَهُ في الأعالي
اشتهيتُ أقَلَّ قليلِ الحياةِ فما لاح لي غيرُ موتي !
بلادًا أُسميِّكِ أمْ غُولةً يا بلادي ؟!
فهلا تركتِ لنا فسحة كي نُطيلَ البكاء قليلاً
على الميِّتين ،
وهلا تركْتِ لنا فسحةً
كي نهيء فوجًا جديدًا
من الذاهبين إليك بأكفانهم راكضين ،

أتركي فسحةً كي نُربيَّ الضحايا على مهلنا !
وخذيهمْ رغيفًا رغيفًا

ولا تأخذيهم طحين ،

أتركي فسحةَ كي يشبَّ البنفسجُ فوق المقابرِ
شِبرًا ،
ووقتًا لتُفرِجَ عَنّا السجونْ ،

أتركي فسحة كي نحسَّ جمَالَ التفاهاتِ في العيش :
بضعِ نقاطِ مِن الماءِ بعد النهوض من البنجِ
والمَشيِ متريْنِ بعد التئامِ الكسورِ
وصوتِ المزاريب بعد الجفافِ
وأرجوحةِ العطرِ
تدفعها نحونا شتلةُ الياسمين ،

صندلٍ من زهورِ الربيعِ
لطفلٍ رضيعٍ يُتَلِتِلُهُ بين أسنانِهِ
البارزاتِ كأربع حبَّاتِ أُرْزٍ جَديدٍ
وعُرسِ الصبيِّ الوحيدِ
وَوَخْطِ المشيب المبكر في مفرق الزوجة المشتهاة
على مخمل الأربعين ،

وامتلاءِ السنابل إذ أثْقلَتْها رسالتُها
فانحنَتْ تحت وطأتِها مُتعَبَة ،

أتركي فسحة للفتى
كي يُزيلَ عن الوجه حَبَّ الشباب
وتصعدَ كفّاهُ في لهفةٍ
فوق فخذِ الصَّبيةِ
يكسو عَراءَ الخيالِ
بِطُهرِ البياضِ المُزَغَّبِ والتجربة ،

أتركي فسحةً للفتاةِ
تُحَزِّزُ في كِتْفِ صاحبها بالأظافِرِ
لذَتَها
حين تدهمها ، فجأةً ، كالتماع النِّصالْ .

أتركي فسحةً كي نَحِلَّ اتّحادَ النساءِ
ونُدْخِلَ مشطاً على شعره المشرئبِّ
ونُعفي مخدّاتِنا من ليالي الجِدالْ ،

أتركي فسحةً كي نُقَشِّرَ هذي القداسةَ
عن كل شِعرٍ بليدٍ يحبكِ
والرَّمزَ عن حبَّةِ البرُتقالْ ،

أتركي فسحة كي نَرى في البلاد البعيدةِ
ما عندها من جمَالٍ
فعينُ المُهاجِرِ تخشى تَمَعُّنَها في الجَمال ،

اجعلينا نَحِلُّ ونَرْحَلُ
مِن أجلِ رغبتنا في البقاءِ أو الانتقالْ
أتركي فسحة كي تَضِلّ الشَّنانيرُ دربَ النجاةِ
وتأوي إلى فخِّ عمي
ولا تخبريه بأن ابنه الآن صيّدٌ
لدوريةٍ سفكتْ دَمَهُ في رؤوس الجِبالْ !

ارجعي كي نُعيدَ سقيفتَنا للدجَاج الكريمِ
الذي كان قاسَمَنا " خُنَّهُ " سَكَنًا
أو نعيد الخيامَ لكَشَّافةٍ

يسهرون على شاطئ الصيف
بالرقص والاحتفالْ .

ارجعي كي نقوم إلى دبكةٍ
لا تهز السيوفَ
ولكن تهز القلوبَ وخرُّوبَ شعر الجدائلِ
ذات اليمينِ وذاتَ الشمالْ .

كلما كسَّرَ البرق بلُّورَهُ في الأعالي
اشتهيتُ أقلَّ القليل
بكلِّ الحواسِّ ، ومنَّيتُ نفسي بأبسط ما يُشتهى ،
واستحالْ

شهوةٌ أن تُضايقَنا في المرايا ككُلِّ العباد .
التجاعيدُ حوْلَ الجُفونْ !

شهوة أن يغني لنا اللحن خصر الصَّبيَّةِ
لا " عائدون " !

شهوةٌ أن يكون حديثُ المقاهي
سخيفا كما ينبغي أن يكون !

شهوةٌ أن تخلي البنات يُرتّبن ما شئْن
من كذبٍ أبيضٍ
كي يُقابلن عشاقهنّ
ويشعُرْنَ بالانتصار البسيط على والدٍ
أسّسَ التُّركُ قصراً على شاربَيْه
وأمٍّ يُحدِّثُها قلبُها بانفلاتِ الفتاة
ولكنْ تُهوّنْ عن زوجها الأمر
حتى يهونْ ،

شهوةٌ أن نُعلِّق في غُرفِ النّومِ
لوحاتِنا الغامضاتِ
وليس شريطُ السّوادِ
على صُورَ الغائبينْ .

شهوةَ أن نفكر في رهبةِ الموتِ
مِن بعد ما صار كالخسِّ في السوق

كَدَّسَهُ البائعونْ .

أتركي فسمةً للرجاء !
أتركي فسمةً للجنون !

أنتِ أخبثُ مما نظنُّ وأحلى
فهلا ابتكرتِ لنا فكرةً للصعودِ إليكِ
سوى موتِنا في هواكْ ؟

شهوةٌ أن نُريحَ القصائدَ منكِ قليلاً
ونكتبَ عن أي أمرٍ سواكْ .

١٩٩٢/٥/١٨

رنّــةُ الإبــرة

تطريزُ ثوبِكِ صامتٌ .. ويقولُ
الأخضرُ المبحوح نايٌ ناعمٌ
مسَّته كفُّ الريحِ والراعي
وأزرقُهُ دفوفٌ حولها شُعَلٌ
وأحمرُهُ طبولُ

ومنمنماتُ رسومِه همسٌ وإصغاءٌ
وغامقُها به نَعَسٌ
وفاتِحُها له نَفَسٌ
وفاجرُها خَجولُ

والخطُّ يصعدُ ، مستقيماً ، من وقار الذيلِ
حتى الخصيرِ
يلمسُ قوسَهُ ، ويَميلُ

وعلى اتساعِ الصدرِ
تصخبُ حفلةُ الأشكالِ ،
زهزهةُ الجنائنِ ،
مندرينٌ هائجٌ
ذَهَبٌ ورمّانٌ يرنُّ ، وأشهبٌ يرنو
وكُحليٌّ كوخزِ الجرحِ ،
عشبيٌّ كلذعةِ غصنِ نعناعٍ بكوب الشاي
والأكمام في وَهَجٍ تَجَمَّعَ فوقهُ وَهَجٌ
وأسرارٌ موزعة على كفَّيكِ
خافيةٌ وباديةٌ
ومن زمنٍ إلى زمنٍ
تزوغ مِنِ الزوالِ ولا تزولُ

وسوادُ ثوبكِ إنْ حكى أوجاعهُ
أبكَى العرائسَ والشيوخَ
وذلكَ الغيمَ الذي يمشي جوار الله
حَسْبَ هواهُ
حتى لا يطيقَ الاكتنازَ بمائِه

فيسيلُ

هذا حِدادُكِ منذُ كُنتِ
فأيُّ ذاكرةٍ تسيرُ على التراب إذا مَشَيْتِ
وأيُّ هَولٍ إنْ عتبتِ على زمانِكِ
يا كريمةُ ، وهو مِقلالٌ بَخيلُ
مِنْ عَهْدِ كَنْعانَ البعيدِ
ومِنْ حكاياتِ الخُرافةِ
وهي تلمع كالذخيرةِ تحتَ توراةِ الحديدِ
ومِنْ خبيئاتِ الموانىءِ في سوادِ البحرِ
والحراسُ نصفٌ في سُباتٍ دائمٍ
والنِّصْفُ حُولُ

لم يُبصروا الأولادَ مَصرورينَ
في صوفِ البطاطين القديمةِ
والبِغالُ تكادُ تدمعُ وهي تحمِلُهُمْ وراءَ النهرِ
والأقفاصُ تأخذُهُمْ بعيداً فوق موجِ البحرِ
وانفرطَ المَكانُ على الأماكِنِ فجأةً
لِتَضيعَ زينتُنا على الطُرُقاتِ

حتّى ظنَّنّا الرائي قِباحاً في الخيامِ
ولْم نَكُنْ ،
بل إنَّهُ المنفى قبيحٌ ، والرَّحيلُ

التينُ والزيتونُ والبَلَدُ الأمينُ
وشالُ رأسِكِ ، كُحلُ عينيكِ الإلهيُّ
القِلاعُ الغامقاتُ
رنينُ إبرتِكِ التي وقَعَتْ على ليلٍ
سَهِرْتِ سوادَهُ وبياضَهُ
ومِخَدَّةُ الغيمِ التي اتكأتْ عليها
قامةُ السروِ المسافرِ في الأُفقْ
وخطى الضيوفِ
صهيلُ حَبِّ الهالِ
ضوءُ البرتقالةِ حين مال الغصنُ وانتبَه الشفَقْ
وبخورُ كُهّانِ الجبالِ
خُطى الصحابيِّين
تربيتُ النخيلِ على القِبابِ
ورِعشةُ الرُّطَبِ الجنيِّ
وشمسُكِ الأولى وبحرُكِ

كيف زُجَّتْ كلُّها في خَيمةٍ ؟!
متنا كما متنا ، ونحيا مثلما نحيا
ونعلم أنَّ من يَلْقَ العذابَ كما لقينا
سوف يِصنِّفنُ صفْنةً ، ويقولُها :
إنَّ الفلسطينيَّ مخلوقٌ جَميلُ

ليلٌ ينورٌ لَيَلهُ الليليَّ أكثرُ مِنْ قَمَرْ
فعلى رقائِقِ قُبةِ الذهَبِ التي نعِسَتْ ، وما نامتْ ، قَمَرْ ،
وعلى أصابعِ ذلك الولد المحجَّبِ قُرْبَ متراسٍ ، قَمَرْ ،
وعلى قميص البنت وهي تميل نازفةً ، قَمَرْ
وعلى جبينِكِ حين تلتفتينَ للجنديِّ نافرةً ، قَمَرْ .
وأكفُّنا ، بلهاثِها ، الملحوقِ ، تدفع كل باب مغلق
والموتُ يلمعُ سِنُّهُ المكسورُ في ضوءِ القَمَرْ .
وسواد ثوبك صامتٌ
لكنَّ كفَّكِ منذُ أنْ قالتْ ، تقولُ

تدحو الفطائرَ كلَّ عيدٍ
أو تزوقُ للمواليدِ القماطَ
وتمسحُ الأحزانَ والدَّمَ والبلاطَ

وتعصرُ الزيتونَ في القُففِ المهولةِ
تنسجُ الأزهارَ في رُكنِ المخدَّةِ للصغيرِ
وفي الصباحِ تشدُّ شحمةَ أذْنهِ
وتعالجُ البللَ الغزيرَ على السريرِ
تردُّ شالَتَها تُعزِّي في القتيلِ
ترد شالَتَها وتذهبُ للتهاني ،
تزرعُ الريحانَ في الشُرفاتِ ،
تشغلُها مقاديرُ الأرُزِّ ،
وآخرُ الأخبارِ من جِهةِ الفدائيين ،
والبنتُ التي حردتْ لأنَّ حماتَهَا وصلَتْ
وأنباءُ الوِفاقِ العالميِّ ووجبةُ الغدِ والغسيلُ

مدِّي يديك إلى المراسي النائيات جميعِها
لمّي الصناديقَ التي حملتْ صِغاركِ
في سوادِ الموجِ
ربِّيهِمْ
أعدِّيهِمْ ليومِ المُلْكِ
فُكّي السِحرَ والألغازَ عنْهُمْ
واجمعيهِمْ مثلما جَمَعَتْ يداكِ الزعترَ البريَّ

في الصبحِ النظيفِ
ومثلما علَّمْتِ إبرَتكِ الصغيرةَ
أنْ تُلَمِلمَ شاردَ الألْوانِ في أطرافِ ثوبكِ
مثلما اجتمعتْ علاماتُ القيامةِ
بين كفِّكِ والأصابعِ
وهي ترمي صبرَها في مقْلَعِ الصوّانِ
ثم تهزّ أكتافَ الشوارعِ
وهي تُقصي وهي تُدني
وهي تَحجِبُ أو تُتيلُ

أنتِ الكنائِسُ والكمائِنُ
والمساجدُ والمساجينُ الذين يُراكِضونَ زمانَهُمْ
بالقيدِ أو بالقرفصاءِ
وأنتِ مَنْ ماتوا على خَطِّ النهايةِ
والمتاريسُ المُقامةُ حولَهُمْ
الفُلُّ والفُولاذُ أنتِ
وأنتِ ما في الشّوْقِ مِنْ غضَبٍ
وأنتِ اليأس مكتملاً ، يحاول
أنْ يَشُدَّ غَزالَةَ الأملِ الكبيرةَ

من رؤوس قُرونها
أنتِ البقاءُ والابتداءُ
وأنتِ أولُ أُمَّهاتِ العيدِ
بهجتُهُ ودمعتُهُ
عَمودُ الدارِ ، والبالُ الطَّويلُ

تمشينَ بين مسالكِ
فيها المَهالِكُ دانياتٌ والنجاةُ بعيدةٌ
والخوفُ كالذئبِ الأليفِ بباب بيتكِ
صامتٌ ، مُتنعِّمٌ بالشمسِ
يُغلِقُ عينهُ ، ويُطِلُّ بالأخرى عليكِ
على خُطاكِ ، على نواياكِ الصغيرةِ
فليكُنْ !
خِفْنا بما يكفي لنذكُر كلَّ ما شاءوا لنا نِسيانَهُ
خافي قليلاً ثم مري مِنْ نداءاتِ الجُدودِ
إلى زُقاقٍ فيه حِصَّةُ خَوفِهِمْ
خوفِ الغريبِ من المُقيمِ
وخوفِ زيِّ العسكرِ الكاكي مِنَ الألوانِ تزحفُ في الطريقِ
وخوفِ عينيْ قاتلٍ

مِنْ انْ يُحدِّقَ في ارتباكِهما القَتيلُ

أنتِ انكشافُ الرأسِ في هذا العَجَاجِ بِنارِهِ ودُخانِهِ
مُرِّي كأنَّك كُلُّ ذاكرةِ البلاد تَمرُّ بين عيونِهِمْ
فَلَكِ الطريقُ لَكِ الطُرُقْ
ولَكِ المَكانُ على امتداد مَكانِهِ
لك وَخْزُ كوعِ جنينِكِ المشتاقِ في جدرانِ بطنِكِ
للحياةِ بِحُلوِها وبمرّها .
لكِ قُوَّةُ المَوتى
الذينَ تأبَّدَتْ فيهِمْ مطالِبُهُمْ
فلا أحدٌ يُروِّضُهُمْ
ولا أحدٌ يخوِّفُهُمْ
ولا أحدٌ يُضلِّلُهُمْ
ولا أحدٌ يُبدِّلُ فِكرةً سقَطوا على دَمِها
فإنَّ المَوْتَ نوعٌ من عِنادٍ خالدٍ
لا يبرحُ الموتى
وينتظرون ،
ينتظرون في صبرٍ طويلٍ لَهفَةَ العَدَّاءِ
بالدمع الذي لا دَمْعَ يشبهُهُ ،

فَمُرِّي ، ولْتَمُرِّي الآن ، مُري بَعدَ عامٍ ،
بَعدَ أعوامٍ
خذينا حيثما شاءَتْ خُطاكِ
وحيثُ شِئْتِ .
وأينما أعطَتْ يداكِ إشارةً
فهي الإشارةُ والقِيادةُ ، والدَّليلُ

تشرين ثاني / نوفمبر / ١٩٨٩

المنزل الغريب

دخلْتُ إلى منزلي ، لم أكنْ مخطئاً
الأثاثُ الأليف اختفى كُلُّهُ
والأراجيح مصفوفة ككراسي العزاءات تهتزُّ في كل ركنٍ
وفيها أبي زوجتي إخوتي وبناتي
وجدّي الذي شاب حاجبه حِكمَةً
يميلون مع مَيْلها كيفَ مالتْ
سُكارى أجِلاّءَ ،
أَذْرُعُهمْ ساقطاتٌ على الجانبيْنِ
ويحجبهمْ عن وقوفي فراغُ العيون
ويشغلهمْ عن ذهولي انذهالُ
أأبقى ؟ أأمضي ؟ أأطردهمْ كلَّهُمْ
أَمْ ألامِسُهمْ في حنان الممرّضِ ؟
أَمْ أنزوي باكيًا عالمي كلَّهُ
أَمْ أُدَبّرُ أرجوحةً أتكوَّمُ فيها

كما يفعلونَ جميعًا

وأُلقي ذراعي على جانبي في استكانةِ ميْتٍ ؟

وما كان موتًا ولا هم بموتى !

ولكنهم ميَّلَ الوقتُ قاماتِهِمْ ثم مالوا !

أبي ، إخوني ، كلّ أهلي

إذا الأهلُ أنتم سأبكي طويلاً

وإنْ خدَعَتْني عيوني وكُنتمْ سواكُمْ

وكنتمْ بعيدينَ عن كُلِّ هذا ،

تعالوا !

١٩٩٣/١٠/١٨

قصيدة الرجل الجميل

في شِرْعَتِهِ

العالَم ليس حرامًا وحَلالاً

بل قبحٌ وَجَمالْ .

ولهذا يتَّبعُ جُنوناتِ القلبِ

ويخطئُ ويُصيبْ .

مبهورٌ أبَديٌّ يكرهُ أن يتعوَّدْ .

تتفقّدُ عيناهُ الأسئلةَ الأولى

كنبيٍّ سَهَّرَهُ الشكّْ .

لا يمتدحُ الأقوى ،

والكلماتُ لديه مَعانٍ ، لا لَمَعانْ .

قنّاصُ فكاهاتٍ

وله شغبٌ تتخرمشُ منه أساساتُ مدينتِهِ

ووفيرُ الأعداء .

ولأنَّ الضّحْكَ على النكتةِ إقرارٌ بالرّاوي

لا يضحكُ وغدٌ مِن نكتتِهِ .

ولأنَّ الثرثرةَ غبارٌ فوقَ زُجاج الناسْ

يحمي مُتْحَفَهُ المتألقَ في داخِلِهِ ، بالصمتْ .

في الفرصةِ ،

يُبعدُ كِتْفيْهِ عن المسعورينَ ذوي اللّهفة .

في السَّهرةِ ،

سيِّدُها ، لكنْ يحرصُ أنْ لا يبدو .

في السّجنِ ،

يلمُّ القشة تلو القشَّةِ

كي يبني أعشاشَ عصافيرٍ لا يعرفُها

في المَرْأةِ ،

رجُلٌ يُعنى برجولته وأُنوثتِهِ

ليكون جديرًا بالحُبْ.

١٩٩٤/٩/٢٨

امرأة

نضجَتْ على قلقِ الحياةِ وفي المضائقِ .
تُتْعِبُ الأقدامْ والأجفانَ
سيّدةٌ على أقدارها
وتكاد تلهو بالصعوبةِ ، ثُمَّ
تنسى كلَّ ما يُنسى إذا ارتعَشَتْ
وتذْكُرُ كل شيءٍ وهي تعلَمُ أنَهُ
لا شيءَ يَخْجَلُ مِن أوانِهْ .
ترمي قميصَ النَومِ في فَرَحٍ وتَخْرُجُ منهُ
لاقاً !
لا مُراهقةً تُلاطَفُ بالدُّمى أو بالكلامِ
ولا تثيرُ شَراهَةَ المِرآةِ زينتُها
وتعرفَ كيف تجعلُ عاشقاً يبكي ويضْحَكَ
وهي لا جدٌّ ولا هَزْلٌ
وأعظمُ ما يزينُ ذكاءَها

جَسَدٌ به حُمْقٌ عظيمْ
عالٍ كفاكهةِ البراكينِ البعيدةِ ،
وَرْطَةٌ خَلاَبةٌ .
ولها المشيئةُ دائماً لكنّها
تدري حلاوةَ أن تُسَلِّمَ كُلَّ قَلْعَتِها
وأحياناً تَسوسُكَ كي تُساسَ على هَواها
هي حُرّةٌ أو عَبْدةٌ حسبَ الهوى
وتَريدُ لذّتها مذاقاتٍ وإصغاءً ورائحةً ولمساً
ثُمَّ تَفْرُكُ عينَها حتى تراها
وتُرى صباحاً ، داخل المترو ، وفي يدها الكتابُ
بها غِنىً عن كلِّ مَرْئيٍّ وراءٍ ،
زُهْدُها لؤمٌ جميلٌ
وهي تُشْبهُ كلَّ امرأةٍ
ولا تبدو كأنَّ الله لم يخلُقْ سِواها !

١٩٩٤/٩/٣٠

على خشبة المسرح

صخبٌ وموسيقى وحفلٌ راقصٌ
في مقبرة .
موتٌ وقهقهةٌ هنا
صمتٌ ورايات مُزَوّقةٌ هناكْ
رَكْضٌ ولكنْ لا مسافةَ للخُطى
زغرودةٌ ترتجُّ في واديِ الهلاكْ
المُخْرِجُ الأعمى يديرُ لنا مَشاهِدَنا العجيبةَ
هَملتُ المجنونُ دَسَّ السُّمَّ في ليلٍ لوالدِهِ
وأوفيليا البدينةُ عاهرة
وتقصّفتْ في البرقِ أشجارٌ بلا ثَمَرٍ
وبين جذوعها تعلو المشانقُ مُثمِرة .
ما أجمل التانجو هُنا !
بين الشواهدِ والأهِلَّةِ والسُّكوتْ
أيموتُ مَنْ تحت التراب لأنهم رقصوا على أشلائِهِ ؟

أم يَرْقُصُ الجَمْعُ الجبانُ لأنَّ أشجَعُهُمْ يموتْ ؟

المشهد العبثيُّ طال بنا وطالَ

وَ مَرَّ قاتِلُنا فمِلْنا نحوَهُ

وكأننا ذَنْبٌ يميلُ على أيادي المغفِرَة

هي ليلةٌ مجنونةٌ

صَخَبٌ وموسيقى وحفلٌ راقصٌ في مقبرة

عبثاً نحاول أن نُصَوِّرَ هذه الملهاةَ مأساةً

فأين جلالُها ؟!

هاتوا ثيابَ المَسْخَرَة !

١٩٩٥/١٠/٢٢

لا مشكلةَ لديَّ

أتلمَّسُ أحوالي .. لا مشكلةَ لديَّ
شكلي مقبولٌ . ولبعض الفتيَات
أبدو بالشَّعر الأبيض جذّاباً .
نظّاراتي متقنةٌ
حرارةُ جسمي سبعٌ وثلاثونَ تماماً
قميصي مكويٌّ وحذائي لا يؤلمني
لا مشكلة لديَّ .

كفَّاي بلا قيدٍ . ولساني لم يُسكَتْ بعدْ
لم يصدر ضدي حكم حتى الآن
ولم أُطرَدْ من عملي
مسموحٌ لي بزيارة مَن سجنوهم مِنْ أهلي
وزيارة بعض مقابرهم في بعض البلدانْ
لا مشكلةَ لديَّ .

لا يدهشني أن صديقي
أنبتَ قرناً في رأسهْ .
وأُحب براعته في إخفاء الذيل
الواضح تحت ملابسه
وهدوءُ مخالبه يعجبني .
قد يفتك بي ، لكني سوف أُسامحُهُ
فهو صديقي
ولهُ أن يؤذيَني أحياناً
لا مشكلة لديَ

ما عادت بسماتُ مذيعِ التليفزيون
تُسبِّبُ لي أمراضاً
وتعوّدْتُ على توقيف الكاكيّينَ لألواني
ليلاً ونهاراً . ولهذا
أحملُ أوراقي الشخصيّةَ حتى في المسبح .
لا مشكلة لديَ .

أحلامي ركبتْ أمس ، قطار الليل

ولم أعرف كيف أُودّعُها
وأتتني أنباءُ تدهورهِ في وادٍ
ليس بذي زرعٍ
(ونجا سائقهُ مِن بين الركّاب جميعاً)
فحمدتُ الله ، ولم أبكِ كثيراً
فلديَّ كوابيس صغرى
سأُطوِّرها إن شاء اللهُ إلى أحلامٍ كُبرى
لا مشكلة لديَّ .

أتلمَّسُ أحوالي منذ وُلدتُ إلى اليوم
وفي يأسَي أتذكَّرُ
أنّ هناك حياةً بعد الموتِ
ولا مشكلة لديَّ .

لكنّي أسألُ :
يا الله !
أهناكَ حياةٌ قَبْلَ الموت ؟

١٩٩٥/٧/٣

المشورة

صَنَمٌ رخاميٌّ أصيب بِحَيْرَةٍ مِن أمرهِ يوماً
دعانا ، فامتثلنا تحت شرفتهِ الرُّخامْ .
وبدا حزيناً راعش الكفَّيْنِ
مذ قالت له عَرّافَةٌ عجَميَّةٌ
" ستموتُ إن لم تستشِرْ أحداً "
تنحنحَ
ثمّ نَقَّلَ بيننا نظَراتِهِ ...
كدنا نُصدِّقُ أنَّ فينا من سيُمْنَحُ فرصةً
للنُّطْقِ بين يدَيْه أوَّلَ مَرَّةٍ مِن ألْفِ عامْ ...
فإذا بسيِّدنا الصَّنَمْ
يَستَلُّ مِرآةً ، ويرفعُها ، وينظُرُ
ثم يسألُها
فتنطقُ بالمشورةِ ، ثم يَشكُرُها ،
ويكْسِرُها ،
مَخافَةَ أنْ يُعَوِّدَها على حَقِّ الكَلامْ !

١٩٩٤/٢/٢٦

صندوق جدتي

زَمَنٌ مُطوى كالشَّراشِفِ
رتَّبَتْهُ مِن ارتباكاتِ الجفونِ
أَمامَ سيِّدِها العريسِ
إلى جنازتها القليلةِ في المطَرْ
صُوَرٌ ، مناديلٌ مُطرَّزَةُ الحوافِ
رسائلُ الأَحبابِ ، مُذْ تُلِيَتْ عليْها
ظَلَّ مِن آثارِ دمعتها على غَيْباتِهِمْ
بَلَلٌ على الخَشَبِ العتيقِ .
وفوقَ مقبضهِ المُزَخْرَفِ
لم تزلْ لمساتُ كفَّيْها مُجَعَّدَةً
وأحقاقٌ مِن الطِّيب القريبِ من الخُزامى
مفرشٌ طيّاتُهُ لم تَنْفَرِدْ أبدًا
مكاحِلُ ، بضعُ أَحزمَةٍ مُقَصَّبَة الخيوطِ
ولذَّةٌ جِنْسيَّةٌ مَرْمِيَّةٌ في أَسفلِ الصندوقِ
لم تُلْمَسْ بتاتًا

طَوْقُ عُثْمليَّةٍ ، حُجُبٌ وأَدْعيَةٌ ،
ودعواتُ الخطوبةِ والزواجِ
خواتمُ ، لم يحظَ إصبعهُا بها يومًا
أخَصَّصَتِ الخواتم للهدايا يا تُرى ؟
أم بُخْلُها المَرويُّ عنها قولُ صِدقٍ ؟
كيف لم تبخلْ إذَنْ بحياةِ إبنيْها
اللَّذَيْنِ استُشْهدا في ليلتينِ
مُنادِيَيْنِ استَنْهضا كلَّ القُرى يومًا ، وناما
عُلْبةُ التطريز فيها كلُّ برقيات مَن عَزّوا وواسوا
والقُصاصاتُ التي ذكَرَتْ محاسنَهُمْ .
وصورةُ ذلك الجبليِّ والدِهِمْ
يُطَرِّزُ صَدْرَهُ صَفّانِ من فَشَكٍ عتيقٍ
في شباب جِهادِهِ
كم كان ينكر أَنَّهُ بَطَلٌ
ليذهبَ للبطولةِ دون ضجتِّها
ولم يرجعْ . فقط ببساطةِ البُلَهاء لم يرجعْ
وأَعْمَتْ نِصف عينيْها ولم يرجعْ .
وهذي صورةٌ لزفافِ أصغرِهِمْ
تُكَلِّلُهُ سُيوفُ الفندقِ الغالي

وراقصةٌ تميلُ على شواربِهِ الوليدةِ
والعروسُ بدينةٌ
مزدانةُ الرُّسغيْنِ بالذَّهَب البدين
وصورةٌ لحفيدِها المقتول في بيروتَ
هل ضاعت رسائلُهُ ؟
هنا أشلاءُ أغلِفَةٍ ،
طَوابعُ لم تزلْ ترسو بها سُفُنُ الخليجِ
وأرزةٌ ونقوشُ تونس ، بحرُ قبرصَ ،
رسمُ أهرامٍ وتمثالٌ عراقيٌّ وكَرْتٌ من أثينا
كنزةٌ صوفيَّةٌ لم تكتملْ
سِنَارةٌ مكسورةٌ ، قَلَمٌ بلا حبر
أتَكْتُبُ ؟! ما الذي فَعَلتْ بهِ ؟!
صُورٌ لجارتها الجديدةِ
(دائمًا جيرانُها جُدُدٌ !)
ومفتاحٌ لبيتٍ غابرٍ في اللّدِّ ،
عنوانٌ لبيتٍ في ضواحي القدسِ
صورةُ عقد إيجارٍ لبيتٍ ضَيِّقٍ في الشامِ
مِرْآةٌ ومشطٌ في مقاسِ الكَفِّ مِن خَشَبٍ
(تَكَسَّرَ منه سِنٌّ واحدٌ)

تركتْ ظلالَ ظلالِها الحِنّاءُ في انحائِهِ
وتغامقتْ بتدرُّجٍ يخبو
هنا صابونُها البَلَدِيُّ ، صبغةُ شَعْرِها
وهنا ملاءتُها الحريرُ (هديةً لزواجها القسْرِيِّ)
ذكرى صار مَلْمَسُها كسَطْحِ الخيشِ
(يضربُها الفدائيُّ النبيلُ إذا عَصَتْ نظراتِهِ يومًا)
ولكنْ كم تَعَلَّمَتِ التَّحَمُّلَ والتغاضي !
كيف كان الحُب يولد في الفواصلِ
بين كدماتِ الشّجارِ
وهل خُلِقْنَ لمثلِ هذا يا تُرى ؟
صندوقُها الخشبيُّ لا يحكي عن الوقتِ الحميمِ
كأنَّ في جدّاتنا مِن كلّ شيءٍ كلَّ شيءٍ
ما عدا أجسادَهُنَّ
عدِمْتُ نفسي إن كذبْتُ ،
أردْتُ دومًا أن أفتّش عن ملامحِ قلبها
عن نزوةِ الأُنثى وعن حِيَلٍ وعن جِنٍّ
وعن سِرٍ يخبّئُ سِرَّها
زمن مطوّى كالشراشف مثلما تهوى
وليت العُمْرَ رُتِّبَ هكذا يا جدتي !

قوميِ على كتفي ومُرّي في الزمان غريبةً
وتأملي ما تبصرينَ
مِن ارتباكاتِ الجفونِ أَمامَ سيِّدكِ العريسِ
إلى جنازتنا جميعًا في المطر .

١٩٩٥/٣/٢٣

القصيدة	الصفحة
مشهد يومي	٧
الشرفة	٩
رضوى	١٢
غبطة	١٤
موج	١٥
مدرج	١٧
أبو منيف	١٨
قيد	٢٥
النافذة	٢٦
السياج	٢٨
الساحة	٣٠
القبائل	٣٢
هم	٣٤
زقاق	٣٥
وردة	٣٦
سهرة	٣٧
لمسة	٣٨
منجل	٣٩
جسد	٤٠
اشتهاء	٤١



منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET